محنة صلاح الدين الصَّفَدِي بالرَّحْبَة
(٧٢٩-٧٣٠هـ/١٣٢٩-١٣٣٠م)

د. عبد السلام محمود جمعه

دكتوراه في التاريخ الإسلامي

الملخص:

يتناول البحث دراسة المحنة التي مرت بصلاح الدِّين الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، وذلك من خلال التَّعريف به أولًا، ومن ثم التَّعريف بالرَّحْبَة، ومن بعد ذلك التَّعريف بطبيعة مهمَّته في الرَّحْبَة والمدى الزمني لمحنته فيها، وكذلك التَّعريف بمظاهر هذا المحنة؛ من حيث البعد عن محبيه، وعلاقته مع رئيسه المباشر نائب الرَّحْبَة، والطَّبيعة القاسيَّة للمنطقة، وشوقه لمصر وأهلها، وكذلك الشَّوق إلى مجالس الأهل والخلان، ومن ثمَّ الانتقال للتَّعْرِيف بعوامل تجاوزه لهذه المحنة، وذلك من خلال أخلاقه العالية، وأدبه الرفيع، وتواصله مع مقربيه، ويختم البحث هذه المفردات بذكر أهم النَّتائج التي توصَّل إليها، والتَّذييل ببعض الملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع، أضف إلى ذلك قائمة المحتويات.

الكلمات المفتاحية:

الصَّفَدِيّ، الرَّحْبَة، محنة، كاتب الدرج، وكيل بيت المال.

Summary

The research deals with the study of the ordeal that Saladin al-Safadi went through in Al-Rahba, by first introducing him, then introducing Al-Rahba, and after that introducing the nature of his mission in Al-Rahba and the time frame of his ordeal there, as well as defining the manifestations of this ordeal. In terms of his distance from his lovers, his relationship with his direct superior, the deputy of Al-Rahba, the harsh nature of the region, his longing for Egypt and its people, as well as his longing for gatherings with family and friends, and then moving on to introduce the factors for his overcoming this ordeal, through his high morals, fine literature, and communication with his relatives, The research concludes these terms by mentioning the most important results it reached, appending some appendices, and a list of sources and references, in addition to the list of contents.

المقدِّمة

تعد المرحلة التي قضاها المؤرخ والكاتب صلاح الدين الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة (٧٢٩-٧٣٠هـ/١٣٢٩-١٣٣٠م)، بوصفه كاتبًا للدُّرج ووكيلًا لبيت المال، من أعقد المراحل التي مرت به في حياته، وذلك بسبب الآثار الناجمة عنها، على كافة شؤونه، وبالتَّالي، فإنَّ البحث يكتسب أهميته من خلال تتبعه للمحنة التي مرت بصلاح الدِّين الصَّفَدِيّ خلال هذه المدة الزَّمنيَّة، وانعكاس ذلك على حياته الخاصة والعامة على حدٍ سواء، وذلك بالتَّعريف به أولًا من حيث: الاسم، واللَّقب، والنَّسب، والمولد، والنَّشأة، والمذهب، والتَّنقلات، والوفاة، والأصدقاء، والشُّيوخ، والمؤلَّفات، ومن ثم التَّعريف بالرَّحْبَة بالرجوع إلى معاجم اللغة والمصادر الجغرافية والتَّاريخيَّة، ومن بعد ذلك التَّعريف بطبيعة مهمَّته في الرَّحْبَة والمدى الزمني لمحنته فيها، من حيث البداية والنِّهاية، وما رافق ذلك من الأحداث التَّاريخيَّة ذات العلاقة، وكذلك التَّعريف بطبيعة ومظاهر هذا المحنة؛ من حيث البعد عن معارفه ومحبيه، وعلاقته مع رئيسه المباشر نائب الرَّحْبَة، والطَّبيعة القاسيَّة لهذه المنطقة، وشوقه لمصر وتعلقه بأهلها، وكذلك الشَّوق إلى مجالس الأنس مع الأهل والخلان، ومن ثمَّ، الانتقال للتَّعْرِيف بعوامل تجاوزه لمحنته هذه، وذلك من خلال أخلاقه المهنية العالية، وأدبه الرفيع، وتواصله الإيجابي مع أصدقائه ومقربيه.

ويختم البحث هذه المفردات بذكر أهم النَّتائج التي توصَّل إليها، والتَّذييل ببعض الملاحق المتعلقة بمفرداته، وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها، أضف إلى ذلك قائمة الفهرسة الخاصة بالمحتويات.

أما فيما يتعلق بالدِّراسات السَّابقة، فإن الدِّراسات التي تناولت حياة الصَّفَدِيّ على تنوعها: أكانت على شكل كتب مستقلة، أو رسائل جامعية، أو كأبحاث منشورة في المجلات العلمية، أو حتى على شكل دراسات ملحقة بكتبه المنشورة؟ كثيرة جدًّا، لكنها على كثرتها وأهميتها العلمية، إلا إنَّها افتقرت إلى التفاصيل الخاصة بالفترة التي قضاها الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة كاتبًا للدرج ووكيلًا لبيت المال، ومن هذه الدراسات:

– كتاب: الصَّفَدِيّ وآثاره في الأدب والنقد، لمؤلفه الدكتور سلامة هليل عيد الغريب، والكتاب على الرغم من أهمية مادته التي ساهمت في إثراء معلوماتي عن الصَّفَدِيّ بشكل عام، إلا إنه لم يقدم أي تفاصيل تذكر فيما يتعلق بالفترة التي قضاها الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، باستثناء قول المؤلف: " ولم يجد الصَّفَدِيّ بدًا من أن ينتظم في سلك الوظيفة، فآثر الوظائف الكتابية التي تنمي موهبته، فكانت له كتابة الدُّرج بصفد، ثم القاهرة، وبعدها إلى الرَّحْبَة، وحلب ودمشق "(١).

وكتاب: حضارة وادي الفرات، للباحث عبد القادر عياش، الذي أُفدت منه فائدة كبيرة في التَّعريف بالمدن الفراتية، لا سيما مدينة الرَّحْبَة.

ومن الدراسات السابقة أيضًا، رسالة الدكتوراه غير المنشورة للباحثة عواطف آدم رزق الله، والتي تحمل عنوان: صلاح الدين الصَّفَدِيّ وجهوده الأدبية والنقدية، وقد كان لاطلاعي على محتواها دور كبير في إثراء معلوماتي عن حياة الصَّفَدِيّ بشكل عام، إلا إنها لم تتعرض للفترة التي قضاها الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة باستثناء قول الباحثة: " ثم ولي كتابة السر بحلب، ثم ناظر ديوان الإنشاء بالرَّحْبَة من بلدان الشام "(٢).

أما بالنسبة للرسالة الجامعية الخاصة بالباحث علي محمد موسى، والتي تحمل عنوان: صلاح الدين الصَّفَدِيّ– حياته وآثاره، والموجودة في مكتبة الجامعة الأردنية، فإنه للأسف لم أتمكن من الوقوف على نسخة منها للاطلاع على محتواها، على الرغم من تكرم الأخوة والأخوات بمكتبة زايد المركزية في مدينة العين الإماراتية، بطلبها بشكل رسمي.

وفيما يتعلق بالأبحاث، فمن الدراسات السابقة التي اعتمد عليها البحث، بحث الدكتور مبارك محمد الطروانة، الذي يحمل عنوان: نيابة الرَّحْبَة: تبعيتها وتقسيماتها الإدارية في العصر المملوكي ٦٥٨-٩٢٢هـ/١٢٦٠-١٥١٦م، والتي أثرت معلوماتي فيما يتعلق بنيابة الرَّحْبَة وأهم الوظائف الموجودة فيها أيام المماليك، لكن مع ذلك، فالبحث لم يتضمن تفاصيل وافية عن فترة عمل الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، باستثناء قول الدكتور مؤلف البحث: " ومن تولى التَّوقيع وكتابة الدرج في مدينة الرَّحْبَة: صلاح الدين خليل بن أيبك الصَّفَدِيّ، نقلًا من كاتب السر في نيابة دمشق القاضي

الكاتب الرئيس، شرف الدين بن القاضي شهاب الدين، ويفترض أنه باشر مهام وظائفه في الرَّحْبَة منذ سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٧م لمراسلته زملائه في دمشق والقاهرة من مدينة الرَّحْبَة وتبادله معهم أشعار المديح والوداع، واستمر في عمله بالرَّحْبَة حتى صدر قرار نقله إلى دمشق سنة ٧٣١هـ/ ١٣٣٠م"[٣].

وبالتَّالي، وأمام هذا الواقع، فبحث محنة الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، قد اعتمد على المصادر الأصيلة، لا سيما كتب الصَّفَدِيّ الثلاث: ألحان السواجع بين البادئ والمراجع، والوافي بالوفيات، وكتاب أعيان العصر، التي ساهمت مساهمة كبيرة في تتبع مادة البحث، وإعداد وضبط التراجم ذات العلاقة بعمل الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة كاتبًا للدرج ووكيلًا لبيت المال بشكل خاص، وفي الترجمة لبقية الأعلام الواردة في البحث بشكل عام، أضف إلى ذلك بعض المصادر المساندة الأخرى التي ساعدتني في التَّعريف بحياة الصَّفَدِيّ، وفي ضبط العديد من الترجمات الخاصة بالبحث.

أما عن منهجي في البحث، فقد اعتمدت على منهج البحث العلمي التاريخي، القائم على تتبع المادة العلمية في المصادر والمراجع، وجمعها، وتحليلها، ونقدها.

والله ولي التوفيق

أولًا: التَّعريف بصلاح الدِّين الصَّفَدِيّ:

صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ هو خليل بن أَيْبك[٤] بن عبد الله الصَّفَدِيّ الشَّافعي، وكنيته أبو الصَّفاء، أمَّا لقبه؛ فقد لقِّب أولًا بغرسِ الدِّينِ[٥]، ومن ثم غلب عليه لقب صلاح الدِّين[٦]، وكثيرًا ما كان يضيف أصدقاؤه لاسمه في مخاطبتهم له ياء النِّسبة، فيشير إليه أحدهم، من باب التَّودد، بلفظ: خليلي، ومن ذلك قول ابن فضل الله الْعُمَرِيّ[٧] في مقدمة التَّرْجَمَة التي خصَّه بها:" ومنهم: خليل بن أَيْبك الصَّفَدِيّ، أبو الصَّفا، صلاح الدِّين: هو خليلي الَّذي أنادي، وصاحبي إذا شكرت الأيادي..."[٨].

أو رُبَّما بإضافة ضمير الغائب لاسمه، وذلك حسب سياق الخطاب، ومن ذلك ما أورده الصَّفَدِيّ في كتابه أعيان العصر، في المادة الخاصة بعمر بن آقُوش، المعروف بابن الحسام الافتخاري[٩]، فقال:" أنشدني من لفظه لنفسه يودِّعني، عند توجهي إلى الرَّحْبَة سنة تسع وعشرين وسبع مئة: [الطويل].

ولمَّـــا اعتنقنـــا للـــوداعِ عشـــيَّةً ... وفي القلـــبِ نـــيرانٌ لفـــرطِ غليلـــهِ

بكيـتُ وهـلْ يُغنـي البُكـا عنـدَ هـائمٍ ... وقـدْ غـابَ عـنْ عَينيـهِ وجـهُ خليلـهِ[١٠]

وصلاح الدِّين الصَّفَدِيّ من موالي الأمير فارس الدِّين ألبَكي[١١]، لذلك نسبه ابن رافع إليه[١٢]، عندما ترجم له، فقال:" الإمام الأديب صلاح الدِّين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الأَلْبَكِي الفاري"[١٣].

وعن ولادته؛ فقد ولد صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ في صَفَد[١٤] سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٢م[١٥]، فنسب إليها كذلك، وعلى الرَّغم من ذكر تواريخ أخرى لهذه الولادة[١٦]، إلَّا إنَّ ذكر الصَّفَدِيّ لهذا التَّاريخ في كتابه أعيان العصر، حسم الخلاف حول هذه القضية، حيث قال:" وابتدأت ذلك من ستٍّ وتسعين وستّ مئة، وهي سنة مولدي، ونهلة موردي، وجذوة موقدي، وبَدْأة موعدي"[١٧]،

وفي كتابه ألحان السَّوَاجِع، وثَّق الصَّفَدِيّ لاسمه، واسم والده، واسم جدِّه، وتاريخ ومكان مولده ونشأته، ومذهبه، شعراً، فقال: [الوافر]

وأنـا خليـلٌ نجـلُ أيبـكَ بـن عبـ ... ـدِ اللهِ ذو التَّقصير فافهمْ مَقصدِي
في عـام سـتٍّ بعـدَ تسـعينَ التـي ... بعـدَ المئـينِ السِّـتِّ قُـدِّرَ مَولـدِي
ونشـأتُ حيـثُ ولـدتُ في صَـفَدٍ ومـا ... قلـدتُ غـيرَ الشَّـافعيِّ مُحمـدِ[١٨]

أمَّا عن تنقلاته ورحلاته، فقد اقتصرت تنقلات الصَّفَدِيّ على أراضي الدَّولة المملوكية في عصرها الأول (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)[١٩]، وذلك بين بلاد الشَّام، ومصر، الحجاز، وهي بذلك قد ارتبطت بظروف نشأته، والأعمال الوظيفيَّة الَّتي أوكلت إليه، ومن ذلك: كتابته للدُّرج[٢٠] في صَفَد، وفي القاهرة، وحلب، والرَّحْبَة، ودمشق[٢١]، كذلك بأدائه لمناسك الحج والعمرة[٢٢]، وقد انتهى به المطاف في دمشق، حيث توفي فيها، في العاشر من شوال سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م[٢٣].

أمَّا عنْ أصدقائه؛ فإنّ الصَّفَدِيّ يرتبط بشبكة واسعة من الأصدقاء المقربين، وذلك بحكم الشَّراكة في تلقي العلم من جهة، وبحكم الوظائف التي شغلها من جهة أخرى، ورُبَّما بحكم الاثنين في وقت واحد، ومعظم هؤلاء الأصدقاء كانوا من نوابغ العصر الذي عاش فيه، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أحمد بن يحيى بن فضل الله الْعُمَرِيّ، صاحب كتاب مَسَالِك الأَبْصَارِ في مَمَالِكِ الْأَمْصَار، وقد شهد على عمق هذه العلاقة التَّرجمات المتبادلة بين الأديبين والمؤرخين الكبيرين، كل منهما للآخر[٢٤].

ومنهم كذلك تاج الدِّين السُّبْكِي[٢٥]، صاحب كتاب طبقات الشَّافعيَّة الكبرى، وقد جرت بينهما العديد من المراسلات نثرًا وشعرًا، وفي التَّرْجَمَة التي خصَّها السُّبْكِي له، قال:" وكانت بيني وبينه صداقة منذ كنت صغيرًا، فإنَّه كان يتردد إلى والدي، فصحبته، ولم يزل مصاحبًا لي إلى أنْ قضى نحبه... وكانت له همَّة عالية في التَّحصيل، فما صنَّف كتابًا إلَّا وسألني فيه عمَّا يحتاج إليه ... لاسيما: أعيان العصر، فأنا أشرت عليه بعمله... وكان يكاتبني وأكاتبه..."[٢٦]. وقد كان الصَّفَدِيّ وفيًّا

لأصدقائه، وهم يبادلونه الوفاء بالوفاء، ومن أمثلة ذلك رسائله مع كل من: ابْن الحسام الافتخاري[٢٧]، وابن النَّقيب البَعْلَبَكِّي[٢٨]، وزين الدِّين الصَّفَدِيّ[٢٩]، وجمال الدِّين ابن غانم[٣٠]، وغيرهم، وذلك خلال فترة عمله بالرَّحْبَة[٣١]. وَعَنْ شيوخ الصَّفَدِيّ؛ فهم كثر، ولعلَّ من أبرزهم، الشَّيخ أبو الثَّنَاء الحَلَبِي[٣٢]، وقَاضِيَّ الْقُضَاةِ جَلَال الدِّينِ

القَزْوِيني[٣٣]، والإمام تقي الدِّي السُّبْكِي[٣٤]، وقد كان الصَّفَدِيّ مُجلًّا لشيوخه، مقرًّا بفضلهم، وهم يبادلونه الود والتَّقدير، ويثنون عليه، وقد أورد الصَّفَدِيّ في ترجمته لشيخه أبي حيان الْغُرْنَاطِيّ[٣٥] إمام اللغة والنحو في زمانه، فقال:" وقرأت عَلَيْهِ الْأَشْعَار السِّتَّة، والمقامات الحريرية، وحضرها جمَاعَة من أفاضل الدِّيَار الْمِصْرِيَّة وسمعوها بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ، وَقَالَ لم أرَ بعد ابْن دَقِيق الْعِيد[٣٦] أفْصح من قراءتك.."[٣٧]. والمكاتبات التي جرت بينه وبين العديد منهم خلال إقامته بالرَّحْبَة تشهد على عمق الروابط التي كانت تربطه بهم، ومن الأمثلة على ذلك المكاتبات التي تبادلها مع شيخه ابن نَبَاتَة[٣٨]، وشيخه ابن الأَكْفَانِيّ[٣٩]. ورُبَّما جمع الصَّفَدِيّ في علاقته مع أحدهم، فكان صديقًا ومتعلمًا ومعلمًا في وقت واحد، وقد أورد الذَّهَبِيّ[٤٠] بهذا المعنى، فقال:"سمع مني وسمعت منه"[٤١].

والحقيقة، إنَّ الإحاطة بأصدقاء الصَّفَدِيّ وشيوخه، قضية تحتاج إلى دراسة خاصة، ومستفيضة، لا يتسع لها هذا المكان، وقد صنَّف الصَّفَدِيّ كتابًا سمَّاه ألحان السَّوَاجِع بين البادئ المراجع، خصَّه لجمع المادة التي راسل وكاتَبَ بها معارفه من أصدقاء وشيوخ، وقد تضمَّنت هذه المادة الحديث عن مئة وسبع من الشَّخصيات[٤٢].

وللصَّفَدِيّ مؤلفات عديدة، فقد أورد السُّبْكِي بهذا الخصوص، فقال:" وصنَّف الكثير في التَّاريخ والأدب، قال لي: إنَّه كتب أزيد من ستمائة مجلد تصنيفًا"[٤٣]، وذكر ابن كثير في أحداث سنة ٧٦٤ه، فقال:" وقد كتب الكثير من التَّاريخ واللغة والأدب، له الأشعار الفائقة، والفنون المتنوِّعة، وجمع، وصنَّف، وألف، وكتب ما يقارب مئتين من المجلدات"[٤٤]، وتعد الكتب التي اعتمد عليها البحث، وهي: كتاب الْوَافي بالْوَفِيَّاتِ[٤٥]، وأعيان العصر وأعوان النَّصر[٤٦]، وألحان السَّوَاجِع

البادئ والمراجع، من أهم ما كتب، وقد ذكر الزِّرِكْلِي[٤٧] مؤلفاته في كتابه الأعلام في التَّرْجَمَة التي خصَّه بها[٤٨].

ثانيًا: التَّعريف بالرَّحْبَة:

أورد ابن منظور[٤٩] في لسان العرب في مادة (رحب)، فقال: " رَحُبَ الشيءُ رُحْباً ورَحابةً، فَهُوَ رَحْبٌ ورَحِيبٌ ورُحابٌ، وأَرْحَبَ: اتَّسَع. وأَرْحَبْتُ الشيءَ: وسَّعْتُه"[٥٠]، "والرَّحْبُ، بِالْفَتْحِ، والرَّحِيبُ: الشَّيْءُ الواسِعُ، تَقُولُ مِنْهُ: بَلَدٌ رَحْبٌ، وأَرضٌ رَحْبةٌ"[٥١]، "والرَّحْبَة مَا اتَّسع مِنَ الأَرض، وجمعُها رُحَبٌ، مِثْلَ قَرْيةٍ وقُرًى"[٥٢].

وقد ضمَّت المنطقة العربية العديد من المواضع التي عُرِفَت باسم الرَّحْبَة، ومن ذلك: رَحْبَةُ خالدٍ[٥٣] ورَحبَةُ خُنَيس[٥٤]، ورَحْبَةُ دِمَشْقَ[٥٥]، ورَحْبَة صنعاء[٥٦]، ورَحبَة الهَدّار[٥٧]، ورَحْبَة يُعقُوبَ[٥٨]، أما المقصود بالرَّحْبَـة في هذا البحث، فهي: رَحْبَـةُ مالك[٥٩] ابن طوق[٦٠]. ويعد الْبَلَاذِرِيّ[٦١] من أوائل المؤرخين الذين أشاروا إليها، وذلك في كتابه فتوح البلدان، في إطار حديثه عن فتوح الجزيرة، والمدن التي عمَّرها المسلمون فيها، فقال: " ولم يكن للرحبة الَّتِي في أسفل قَرْقِيسِيا[٦٢] أثر قديم إنما بناه، وأحدثها مَالِك بْن طوق بْن عتاب التَّغلبي في خلافة المـأمون "[٦٣].

وقد ذكرها العديد من اللغويين[٦٤]، فقال عنها ابن منظور: " ورَحْبةُ مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ: مَدينةٌ أَحْدَثَها مالكٌ عَلَى شاطِئِ الفُراتِ "[٦٥]، وكذلك العديد من الجغرافيين[٦٦]، وقد حدَّدها الحموي في كتابه معجم البلدان، فقال: " رَحْبَة مالك بن طوق: بينها وبين دمشق ثمانية أيام[٦٧]، ومن حلب خمسة أيام[٦٨]، وإلى بغداد مائة فرسخ[٦٩]، وإلى الرَّقَّة نيف وعشرون فرسخًا[٧٠]، وهي بين الرقة وبغداد على شاطئ الفرات أسفل من قَرْقِيسِيا... "[٧١].

أمَّا عن الرَّحْبَة في العصرين الأيوبي، والمملوكي، فإنَّ ما ذكره أبو الفداء[٧٢]، يغني عن الإطالة، حيث إنَّه ميّز بين موقع رحبة مالك بن طوق، وبين تلك التي استحدثت في عهد الأيوبيين، فقال: " رحبة مالك بن طوق التَّغلبي: مدينة على الفرات بين الرَّقَّة وبين عانة[٧٣]... والرَّحْبَة المذكورة خربت وبقيت قرية، وبها آثار المدينة القديمة من المـآذن الشَّاهقة وغيرها، واستحدث

شيركوه بن أحمد[٧٤] بن شيركوه بن شادي صاحب حمص في جنوبيها، ناقلًا عن الفرات الرَّحْبَة الجديدة على نحو فرسخ[٧٥] من الفرات، وهي بلدة صغيرة، ولها قلعة على تلّ تراب... وهي اليوم محطُّ القوافل من العراق و الشَّام، وهي أحد الثغور الإسلامية في زماننا"[٧٦].

إلا إنَّه تجدر الإشارة هنا، على أن الرَّحْبَة، وإنْ كانت تابعة لحمص في العهد الأيوبي، فهي بالتَّأكيد ليست كذلك في العهد المملوكي، إذ أورد ابن فضل الله الْعُمَرِيّ في كتابه التَّعريف بالمصطلح الشَّريف ما يدلُّ على أنَّها كانت نيابة مستقلة حينها، حيث إنَّه قد أورد في إطار حديثة عن مملكة الشَّام في أيام المماليك، بعد أنْ قسَّمها إلى أربع مناطق إدارية، وهي: الصَّفقة السَّاحليَّة الجبليَّة، والصَّفقة القبليَّة، والصَّفقة الشَّماليَّة، والصَّفقة الشَّرقيَّة، فقال فيما يتعلق بالأخيرة:" وبهذه الصَّفقة مدينة الرَّحْبَة على الفرات، وبها قلعة ونيابة، وفيها بحريَّة وخيَّالة وكشَّافة وطوائف من المستخدمين. فهذه جملة هذه الصَّفقة الشَّرقيَّة، وبها تمت الصَّفقات الأربع "[٧٧].

وعندما عُيِّنَ الصَّفَدِيّ كاتبًا للدُّرج في الرَّحْبَة سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، كان نائبها للسُّلطان المملوكي النَّاصر محمد بن قلاوون(٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٤-١٣٤١م)، الأمير حسام الدِّين الغتمي[٧٨].

وعن العصور اللاحقة المتعلقة بتاريخ الرَّحْبَة وصولًا إلى العصر الحديث، فقد أورد المؤرخ عبد القادر عياش[٧٩]، في كتابه: حضارة وادي الفرات، فقال إنَّها:" تقوَّضت في أواخر القرن السَّابع عشر [للميلاد][٨٠]، وقد قامت بلدة الميادين الحالية على أنقاضها، في الرُّبع الأخيرة من القرن التَّاسع عشر للميلاد. وتقع شرقي مدينة دير الزور على ضفة الفرات الغربية على بعد خمسة وأربعين كيلومتراً..."[٨١].

أما بالنسبة للقلعة التي أشارت إليها بعض المصادر السابقة، فهي تقع إلى الجنوب من الرَّحْبَة بحوالي خمسة كيلومترات، وذلك للدفاع عنها[٨٢].

ثالثًا: مهمة صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة والمدى الزَّمني لمحنته فيها:

تعد الرِّسالة التي وصلت إلى الصَّفَدِيّ، وهو في مصر سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م،

في كتاب التَّكليف الموجه إليه من كاتب السِّر في الشَّام أبي بكر الحلبي(٨٣)، في توليه التَّوقيع(٨٤) بالرَّحْبَة، البداية الحقيقية لهذه المحنة، وقد ذكر الصَّفَدِيّ هذه الرِّسالة في كتابه ألحان السَّوَاجِع، فقال:" كَتَبَ هو إِلَيَّ مِن الشَّام المَحْرُوسِ، وَأَنَا بالدِّيَار الْمِصْرِيَّة المَحْروسَةِ، يَطْلُبُ مِنِّي الحُضُورَ إِلى الشَّام لِيُجَهِّزَنِي إِلى الرَّحْبَة مُوَقِعاً(٨٥): [الكامل]

يَـــا فَاضِـــلاً فَخَـــرَ الـــوَرَى بِخِلَالِـــهِ ... وَعَـــلَا عـــلى أُفْـــقِ العُـــلَا بِجَلَالِـــهِ
شَرِّف دِمَشْـــقَ إِنْ ارْتَضَـــيْتَ بِـــزَوْرَةٍ ... وَاشْـفِ الجَـوى مِـنْ كُـلِّ قَلْـبٍ وَالِـهِ
فَقُلُوبُنَـــا مِـــنْ شَـــوْقِهَا جَمَرَاتُهَـــا ... لَمْ يُطْفِهَـــا بِالـــدَّمْعِ فَـــيْضُ سِـــجَالِهِ
فَلَقَـــدْ مَـــلَأْتَ دِيَـــارَ مِصـــرَ فَضَـــائِلاً ... كَـــمْ فَـــاضَ مِنْهَـــا النِّيْـــلُ عِنْـــدَ نَوَالِـــهِ
فَاجْعَـــلْ لَنَـــا مِـــنْ تِـــبْرِ فَضْـــلِكَ فَضْـــلَةً ... يَغْنَـــى بِهَـــا المَضْرُـــورُ عِنْـــدَ سُـــؤَالِهِ
إِنَّ الكَـــرِيمَ هُـــوَ الجَـــوَادُ عَـــلَى الَّـــذِي ... قَـــدْ رَاحَ يَسْـــأَلُ مَـــا لَـــهُ فِي مَالِـــهِ"(٨٦)

"فكتبت أنا الجواب إليه: [الكامل]

قُـــمْ فِي الـــدّجى حتـــى الصَّـــبَاح ووالـــه ... بِـــدُعَا يقـــوم بـــبعض حـــقّ نوالـــهِ
وأمُـــلْ بِـــمَا تمليـــهِ أعطـــافُ الـــوَرَى ... واحمـــدْ أبـــا بكـــرٍ عـــلى أفضـــالهِ
واســـجعْ فإنّـــك مـــا بَرِحْـــتَ مطوّقـــاً ... إمّـــا بضـــافي جاهـــهِ أو مالـــهِ"(٨٧)

وعلى الرَّغم من توثيق الصَّفَدِيّ لتاريخ هذه الرِّسالة في أعيان العصر، على أنَّها كانت في سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م، إلا إنَّه لم يشرْ من قريب ولا من بعيد إلى يوم، ولا حتى شهر ورودها إليه، واكتفى بذكر السَّنة فقط.

ورسالة التَّبليغ المنظومة شعرًا من أبي بكر إلى الصَّفدي، وإن كانت رسميَّة في غايتها، إلَّا إنَّه غلبت عليها الصِّبغة الأدبية المليئة بعبارات الود والامتنان، وقد أضفى الذَّوق الرفيع على سياقها

العام تصورًا إيجابيًّا عن طبيعة العلاقات المهنية السَّائدة في ذلك الوقت، وكذلك الأمر بالنسبة لرسالة الرَّد(٨٨).

واللافت للنَّظر في هذا المقام أنَّ توثيق الصَّفَدي لرسالة التَّكليف أنَّه بالإضافة إلى افتقاره إلى التَّوثيق التَّاريخي الدَّقيق، فإنَّ الرِّسالة قد افتقرت أيضًا إلى التَّعريف الدَّقيق بطبيعة التَّكليف المناط به في مكانه الجديد، إذ اكتفت بالإشارة إلى العهدة إليه بالتَّوقيع وحسب، لكن بالوقوف على ترجمة ابن البارنباري(٨٩)، والتي جاء في سياقها:" وكنت أنا قد كتبت إليه بعد خروجي من مصر متوجهاً الى الرَّحْبَة كاتب الدُّرج"(٩٠). تبيَّن لي أنَّ الاختلاف في استخدام المصطلحات في التَّعبير عن مهمة الصَّفدي في الرَّحْبَة، لا يفسد للودِّ قضية؛ إذ إنَّ التَّوقيع، وكتابة الدُّرج يحملان نفس الدَّلالة المهنية في ذلك الزَّمان(٩١).

ومع ذلك، فإنَّ الباب مازال مفتوحًا فيما يتعلق بطبيعة هذه المهمة؛ إذ إن الصَّفدي قد أورد في الترجمة التي خصَّها للكاتب كمال الدين الدمشقي(٩٢)، فقال:" وكان قد توجه لتوقيع الرَّحبة، ووكالة بيت المال(٩٣) عوضاً عني في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة"، وعليه فمهمة الصفدي في الرحبة لم تقتصر على كتابة الدرج، وإنما أضيف إليها الإشراف على بيت المال في النيابة أيضًا.

أما بالنسبة للتوثيق التاريخي الدقيق لبداية محنة الصفدي في الرحبة، والتي ارتبطت ببداية مهمته فيها، فإنه قد تبين لي من خلال وقوفي على ترجمة نائب الرَّحْبَة حينها، وهو الأمير حسام الدِّين الغتمي، أن رسالة تكليف الصَّفَدِيّ بالعمل بالرَّحْبَة كانت في أخر سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، وذلك؛ أن الصَّفَدِيّ قد أورد في هذه التَّرْجَمَة، في كتابه أعيان العصر، في سياق حديثه عن تذمُّر سكان النِّيابة من هذا النَّائب، فقال:" وتوجَّهَ العربان الكبار من آل مهنا(٩٤) وغيرهم، وشكوا منه إلى السُّلْطَان شكوى كبيرة، فطلبه السُّلْطَان إلى مصر، فتوجه إليها في سنة تسع وعشرين وسبع مئة، وكتب تنكز(٩٥) على يده، فلم يسمع فيه كلاماً، وخلع عليه، وجهَّزه إليها مكرَّماً، وتوجَّهت أنا إليها موقعًا في آخر هذه السَّنة المذكورة"(٩٦).

وعن التَّوثيق التَّاريخي الدَّقيق لنهاية هذه المحنة، فإنه على الرغم من أن النص السابق قد أشار إلى سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م، كنهاية لمهمة الصفدي في الرحبة، إلا إن هذا التاريخ لم يكن دقيقًا بما فيه الكفاية، حاله حال البداية، لكن بعد التَّدقيق في تراجم الصَّفَدِيّ، في كتابه أعيان العصر، اهتديت إلى ترجمة القاضي بدر الدِّين العزَّازي(٩٧)، كاتب الدُّرج بدمشق، حيث ذكر الصَّفَدِيّ في سياقها تاريخ وفاته، وهو ليلة الخميس ثالث عشر ذي الحجة سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، وقد قال بعد ذلك:" ولمَّا توفِّي، رحمه الله تعالى، طُلِبت أنا من الرَّحْبَة ورُتِبت مكانه"(٩٨).

وبالتَّالي، فإنَّه يمكن الاطمئنان إلى أنَّ الثالث عشر من شهر ذي الحجة سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، يشكل نهاية لمحنة صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ ومعاناته في الرَّحْبَة، وعليه يمكن القول بأنَّ المدى الزمني لمحنة الصَّفَدِيّ كاتبا للدُّرج ووكيلًا لبيت المال في الرَّحْبَة، قد استمرت قرابة عام هجري، ابتدأ بندبه للعمل من مصر إلى الرَّحْبَة في أواخر سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، وانتهى بندبه للعمل من الرَّحْبَة إلى دمشق في الثالث عشر ذي الحجة سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م(٩٩).

مع العلم أنَّ وصول الصَّفدي إلى دمشق قد تأخَّر إلى اليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م(١٠٠)، ومع وصوله إلى دمشق بدأت تباشير الواقع الجديد تلوح في الأفق، وقد أورد الصَّفدي في المادة التي خصّها لكاتب الإنشاء في الشَّام جمال الدِّين ابن غانم في كتابه ألحان السَّوَاجِع، فقال:" كتب إليّ عند قدومي من الرَّحْبَة المحروسة، ودخولي إلى ديوان الإنشاء بالشَّام المحروس في سنة ٧٣١ه: [الوافر]

تَقـــولُ جماعـــةُ الـــدِّيوانِ: فيـــهِ ... فســـــادٌ لا يُـــــزَالُ ولَا يُـــــزَاحُ
فَقلـــتُ فســـادُهُ سَـــيَزولُ عَـــمَّا ... قليـــلٍ إذْ بَـــدَا فيـــهِ الصَّـــلاحُ

فكتبتُ أَنا جَوَابَه: [الوافر]

هَويـــتُ جماعـــةَ الـــدِّيوانِ دَهْـــراً ... فلـــمّا ضـــمنا بدمشـــقَ مَغْنـــى
نظـــرتُ إلـــيهمُ نظـــرَ انتقـــادٍ ... فكنـــتَ جَمـــالَهم لَفْظًـــا ومَعْنـــى"(١٠١)

وبهذا الشكل أختم حديثي عن مهمة صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة والمدى الزَّمني لمحنته فيها، وانتقل للحديث عن مظاهر هذه المحنة.

رابعًا: مظاهر محنة صلاح الدِّين الصَّفدي بالرَّحْبَة:

كشفت لنا الرَّسائل التي تبادلها الصَّفَدِيّ مع أصدقائه وشيوخه العديد من مظاهر معاناته خلال فترة عمله في الرَّحْبَة، والَّتي حولت مهامه فيها إلى محنة قضَّت مضجعه، ولعلَّ من أبرز هذه المظاهر: قضية البعد عن الأصدقاء والمقربين، واشتياقه إليهم، وقد عبر الصَّفَدِيّ عن ذلك في الرِّسالة التي وجَّهها لصديقه عمر بن آقوش، المعروف بابن الحسام الافتخاري، حيث قال:" وكتبت أنا إليه من الرَّحْبَة: [البسيط]

كتبتُ والدَّمْعُ قدْ غَطَى على بَصَرِي ... وبتُّ فيكَ نَجِيَّ الهَمِّ وَالْفِكَرِ

وَأَشْتَهِي مِنْ جَوى قَلْبِي وَحُرْقَتِهِ ... لَوْ أَشْتَرِي سَاعةً بالعمرِ مِنْ عُمَرِ "(١٠٢)

وكذلك في الرِّسالة التي وجهها إلى الأمير ناصر الدِّين محمد بن الجنكلي(١٠٣)، حيث قال:" وكتبتُ إليه من الرَّحْبَة المحروسة في سنة ٧٢٩: [الرجز]

لى حالةٌ بَعَد الأمير ناصر الدْ ... دِين لَهَا كلُّ الأنام عاذِرُ

ضَنِيتُ بالبعدِ فَمَا لى قوةٌ ... وغابَ عَن عَيْنى فَمَا لى نَاصِرُ "(١٠٤)

وأيضًا في رسالته لشيخه ابن نَبَاتَة، حيث قال:" وكتبتُ إليهِ من الرَّحْبَة المَحْرُوسَة في سنة ٧٣٠:.."(١٠٥)، ثم أورد في مضمون هذه الرِّسالة بيتين من الشِّعر، وصف من خلالهما شوقه إلى شيخه، فقال: [الطويل]"

فَشَوْقى كَسَا الأصالَ أَرْدِيَةَ الضَّنا ... أَلَمْ تَرَها مُصْفَرَّةً حينَ تُعْرضُ

وَقسَّمَ بالمِيْراثِ جِسْمي على البِلى ... أَلَمْ تَرَ خَدِّي وَهُوَ بِالدَّمْع يُفْرَضُ "(١٠٦)

أضف إلى ذلك المتاعب التي واجهها مع رئيسه الجديد مع بداية وصوله للرحبة؛ إذ إنه ما إن وصل إلى الرَّحْبَة، حتى بدأت متاعبه مع الأمير حسام الدِّين الغتمي نائب الرَّحْبَة بالظهور، حيث

قال في التَّرْجَمَة التي خصَّه بها في كتابه أعيان العصر:" ولما قدمت إليها انجمع مني، وانزوى عنِّي مدة تزيد على شهرين"(١٠٧)، وذلك لظنِّه بأنَّ الصَّفَدِيّ إنَّما أرسل عينًا عليه من قبل السُّلْطَان الناصر محمد بن قلاوون(٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٤-١٣٤١م)(١٠٨).

ومما زاد في هذه المحنة الطَّبيعة القاسية التي تميزت بها الرَّحْبَة في ذلك الوقت، وقد وضح الصَّفَدِيّ هذه القضية في ردِّه على رسالة شيخه ابن نَبَاتَة، عندما سأله، قائلًا:" كيف حال مولانا في الرَّحْبَة ومضائِقِها، والخِدْمَةِ وعَلائِقِها، ومِزاجِ الماءِ والهَواءِ، وَأَثَرِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، والقلعة؟..."(١٠٩).

وقد تضمَّن الرَّدُ وصفًا دقيقًا لقسوة الطَّبيعة الَّتي تميزت بها الرَّحْبَة، حيث قال:" فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك، وأنا بالرَّحْبَة المحروسة.."(١١٠)، وبعد اثني عشر بيتًا، أتى بمقدمة خفيفة لنصٍ نثري(١١١)، ثم دخل بالإجابة، فقال:" وسُؤال مَولانا عن مَملوكِهِ، وفقيرِ فَضْلِهِ وصُعْلوكِهِ، فَأَقولُ: أما الرَّحْبَة، فَضَيقَ الله على مَن اتَّسعَ له فيها عُشُ العَيْشِ، أَوْ رَأَى فيها غيرَ وَبُلِ(١١٢) الوَبالِ(١١٣) وَعَدِمَ طَشَّ الطَّيشِ، بَلْدَةٌ لِلسَّعْدِ عَنْها صَرْفَةٌ، وَلِلْقَلْبِ فيها قلْبَةٌ، وللطَّرْفِ فيها طَرْفَةٌ؛ ومما أتَّفَقَ للمَملوكِ فيها نَظمًا: [مخلع البسيط]

عَـــدِمْتُ بالرَّحْبَـــة اكْتِســـاى ... فَـــــلا قـــــريضَ ولا قُراضَـــــهْ
وَكَـــلَّ طَـــرْفي بهـــا وفِكْـــرِي ... فـــــلا ريـــــاضَ ولا رياضَـــــهْ

أَمَّا مِزَاجُها: فَلا أَعْرِفُهُ، ولا أَدْري لَهُ كَيفيَّةً، ولا أَصِفُهُ، يَتَنَقَّلُ بِها فِي اليَوم من الحَرُ إِلى البَرْدِ، وَيَتَلَقَّى الجِسْمَ بالحَزِّ والعَظمَ بالبَرْدِ، هذا مع فَسَادٍ عَرَضَ لِجَوْهَرِ هَوائِها، وَعَفَنِ أَرْضٍ أَلِفَ قِيْعانَها حَتَّى صَادَ وَبالَ وَبَائِهَا... إلى غير ذلك من ذُبابها الذي دُونَهُ ذُبَابُ السَّيْفِ، ولَهُ إِلَيْهَا رِحْلَةُ الشتاءِ والصَّيْفِ... وَهَوامَّ ما سَمِعْتُ بها ولا رَأَيْتُها، ولا نَقَلْتُها عن كِتابِ الحَيَوانِ(١١٤)، ولا رَوَيْتُها: وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ(١١٥).

وأَمَّا حَشَراتُها: فقد رأَيْتُ بها أَحْوالَ(١١٦) الحَشْرِ، وشَاهَدْتُ بِقَبْضِها وبَسْطِها في السَّعْيِ بَديعَ الكَفْ والنَّشْرِ، من كُلِّ عَقْرَبٍ تَعُقُّ الرَّبَّ، وَتَخْرُجُ مِن جُحْرِها للدُّخول في الضَّرْبِ...: [الخفيف]

فهـي أَسْـعَى في الـرَّوْع مِـنْ مَلـكِ المَـوْ ... تِ وأسرى في ظلمـــةٍ مِـــنْ خَيـــالِ(١١٧)

ويُضاف إلى هذا كُلِّه العَجاجُ الذي يُطْنِبُ على البلدِ خِيامَه، ويُعْجِرُ نُفوذَ الأشعةِ عَنْ أَنْ نَفُكَّ خِتامَهُ، ويُظَنُّ من هَوْلِ هَيْجِهِ أَنَّه قد قامَتِ القِيامة... فَأَيُّ عَيْشٍ يَصْفُو مَع هَذِهِ الأَكْدَارِ؟ وَأَيُّ رَاحَةٍ تَكُونُ لِمَنْ هذِهِ الدَّارُ نَصيبَهُ من هذهِ الدَّارِ "(١١٨)؟

وأَمَّا شوق الصَّفَدِيّ لمصر وأهلها، فقد كان كذلك من القضايا الَّتي أَرَّقته في مهمته الجديدة، وقد عبَّر عّنْ ألمه لفراق مصر منذ مغادرته لها متوجهًا للرَّحبة كاتبا للدُّرج، وذلك أثناء مروره بدمشق(١١٩)، وقيام شيخه جمال الدِّين ابن نَبَاتَة بإهدائه طبقًا مِنَ الطَّعام المصري فيها، فقال في ذلك:" ولما قدمت من الدِّيَار الْمِصْرِيَّة المحروسة في سنة ٧٢٩ متوجهًا إلى الرَّحْبَة، أهدى إليّ هو طعامَ بَسَلّا فكتبت أنا إليه(١٢٠):[الوافر]

ظَنَنْـــتُ العَبـــد عَـــنْ مصـــر تَسَـــلى ... فأهـــدى جـــودك الـــوافي بَسَـــلا

نَعَـــم قَـــدْ أذكرتَنِـــي عَـــيْشَ مصـــرَ ... وإقبـــالاً مـــن الـــدنيا تـــولّى "(١٢١)

وبعد أن وصل الصَّفَدِيّ إلى الرَّحْبَة، وفي ظروف حياته الجديدة فيها، وفي إطار إطئنان شيخه ابن نَبَاتَة عن حاله فيها، مستوضِحًا عن شوقه إلى مصر، بقوله:" كيف حال مولانا في الرَّحْبَة ومضائِقِها... والوَحْشَةِ إلى مِصْرَ التي كانَتْ قد وَجَدَتْ مِنْهُ عَزِيزَها، وأَمَدَّتْ بِمِدادِ كَلِمِهِ إِبْرِيزَها(١٢٢)، وبِرِياضِ قَلَمِهِ إِبْلِيزَها "(١٢٣)؟

أجاب الصَّفَدِيّ معبرًا عن مدى شوقه إلى مصر وأهلها، فقال:" وأَمَّا اسْتِخْبارُ مَولانا عن شَوْقِ المَملوكِ، وَوَحْشَتِهِ إِلَى مِصْرٍ، فَلا تَسْأَلْ عن النَّارِ ذَاتِ الوقود(١٢٤)، واللواعِج التي ما تُفارقُ حتى تعول وتعود: [الكامل]

شـــوقٌ إذا بَعَـــثَ السُّـــلُوُّ سَرِيَّـــةً ... تَلْقـــى الصَّـــبَابَةَ رَدَّهَـــا بِكَمِـــيْنِ

وما المسؤولُ عَنْها بِأَعْلَمَ من السَّائِلِ[١٢٥]، يا مولانا، كيفَ تَسْأَلُ مَن فارَقَ الحَياةَ عَنْهَا؟ وكيفَ تَسْتَفْهِمُ عن حالِ مَن كانَ في الجَنَّةِ وَأُخْرِجَ إِلَى النَّارِ مِنْهَا؟ وكيف لا تَرْحَمُ مَنْ كانَتِ السَّعادَةُ في يَدَيْهِ ولم يَصُنْها؟: [الكامل]

عَجَباً لِمِثْلِي وَهُوَ يُبْصِرُ رُشْدَهُ ... في الأَرْضِ كَيْفَ تَقَلَّبَتْ حالاتُهُ

وماذا يقول المملوك في بلادٍ لمَّا حَلَلْتُها: [الطويل]

وَجَدْتُ بِها ما يَمْلأُ العَيْنَ قُرَّةً ... ويُسلي عن الأَوْطَانِ كُلَّ غَريب[١٢٦]

وأَقوامٌ إذا أَلْقَتِ الإِنْسانَ إِليهم مرامي الغُرْبَةِ: [الكامل]

يَخْتالُ من قَسَماتِهِمْ وَعُلومِهِمْ ... ما بَيْنَ نُورٍ ضُحى ونُورِ خَمَائِلِ

وعلى ذِكْرِ الدِّيَار الْمِصْرِيَّة، فقد كتب المَملوكُ إلى بعضِ الأَصْحَابِ فيها أبياتاً، لا بَأْسَ بِعَرْضِ بَعْضِها على مولانا، وهي: [مجزوء الكامل]

سَقْياً لِمِصرَ ومَا حَوَت ... مِنْ أُنسِها وأُناسِها
ومحاسِنٍ في مَقْسِها ... تَبْدُو وفي مِقْيَاسِها
وَمَسَرَّةً كاساتُها ... تُجلى على أكياسِها
وسطورِ قُرطٍ خطَّها الـ ... ـباري على قِرطاسِها
ودُمى كنائِسِها ولا ... تنسَ ظِباءَ كُناسِها
ولطافةٍ بجلالةٍ ... تَبْدو على جلَّاسِها
ونواسمٍ كلُّ المنى ... للنفسِ في وأنفاسِها
ومراكبٍ لَعِبَت بِها الْـ ... ـأمواج في وَسْواسِها

ومِمَّا نَظَمَهُ المَمْلُوكُ في أَهْلِها: [المجتث]

في أَهْلِ مِصْرَ مَعانٍ ... مِن لُطْفِهِمْ تُسْتَفادُ
تَرى السِّيادة فيهمُ ... لَمَّا رَعُوا الجارَ سادوا"[١٢٧]

وزد على هذا وذلك من أسباب شدة المحنة التي عاشها الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، خلوها من مباهج الحياة والأنس بالأهل والخلان، وقد وضَّح الصَّفَدِيّ ذلك في ردِّه على شيخه جمال الدِّين ابن نَبَاتَة، عندما سأله في رسالته السَّابقة، قائلًا:" وما حال مولانا مع من اسْتَجَدَّهُ من صاحِبٍ وخدينٍ(١٢٨)، وأَهْلِ رفاءٍ وبنين"(١٢٩)؟

وقد اختصر الصَّفَدِيّ في جوابه لشيخه عن هذا السؤال حالة البؤس التي يعيشها في الرَّحْبَة، فقال:" وأَمَّا سُؤالُ مَولانا عَمَّا أَسْتَجَدَّ المَملوكُ من صاحِبٍ وخَدِينٍ، وَأَهْلِ رَفاء وبنين؛ فوالله ما رَأَيْتُ في الرَّحْبَة إلى الآنَ قَرينَةً إِلَّا من السَّجْعِ، ولاجارِيَةً إلا من الدَّمْعِ، والفِراشُ عاطلٌ، والإمكانُ مُماطل:... [الطويل]

مُقِـــلٌّ مـــن الأَهْلِـــينَ يُســـرٍ وأُسْرَةٍ كَفَـى حَزَنَـاً بَـيْنٌ مُشِـتٌّ وإِقْـلالُ"(١٣٠)

وللتأكد من حقيقة المحنة التي قضاها الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، ومدى قساوتها؛ فيكفي دليلًا على ذلك رده على القَاضِي شرف الدِّين الطائي(١٣١)، وذلك في المادة التي خصَّه بها في كتابه ألحان السَّوَاجِع، حيث قال:" كتبتُ أنا من رحبَةِ مَالِك بن طَوق إلى أَخِيه القَاضِي بهَاء الدِّين الحَسَن(١٣٢) كتاباً، وفيه عتبٌ عليهِ بسببِ انقطاعِ مُشَرَّفَاتِه عنِّي، فكتبَ هو إليَّ في سنة ٧٢٩: [الْكَامِل]

قَـــرَّت بِمَنْصِـــبِكَ الجَلِيـــلِ عُيُـــونُ وَرَنَـتْ إِلَيْـكَ مـن السُّـعودِ جُفـونُ"(١٣٣)

وبعد أن أورد أحد عشر بيتًا، قال:" وفي أَثْنَاءِ الكِتَابِ بَيْتَان، وَهُمَا: [الكامل]

أَبْشِـر بِهَـا مِـنْ رَحبـةٍ قَـدْ أَصـبَحت كَهْـــفَ الغريـــب ومأمنًـــا للسَّـــالِكِ

وَحَلَلْتَهـــا يَـــا مَـــالكي فلأجـــلِ ذَا قَـدْ أصـبَحَتْ تُـدْعى برحبـةِ مَالـكِ(١٣٤)

فكتبت أنا الجواب إليه: [الْكَامِل]

جَـاءَت سُـطورُك وَالسُّرُـور قَـرِينُ وَلَهَـا مِـنَ الْحسـنِ البـديع فنـونُ"(١٣٥)

وبعد ثلاثة عشر بيتًا، قال:" وكتبت في أثناء الكتاب أيضًا: [الكامل]

وَلَقَـدْ حَلَلْـتُ بِبَلْـدَةٍ حَاشَـا لَظـىً وقبـيح مَنْظَرِهـا الشَّـنِيع الْحَالِـكِ

وَسِعَتْ لأَنواع الْعَذَابِ على الْفَتى فَلِذَاك سَمُوهَا برحبَةِ مَالِكِ"(١٣٦)

ففي الوقت الذي نسب فيه القاضي شرف الدِّين الرَّحْبَة إلى الصَّفَدِيّ تكريمًا له، شبهها الصَّفَدِيّ في البيت الثاني في رده عليه بجهنم، وذلك أنَّه نسبها إلى مالك خازن النَّار، وقد جاء في قوله تعالى:﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

خامسًا: عوامل تجاوز صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ للمحنة في الرَّحْبَة:

لقد ساهمت إدارة صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ للمحنة، التي مرَّت به في الرَّحْبَة، مساهمة كبيرة في التَّخفيف من أعبائها على نفسه من جهة، وعلى نجاحه في مهامه من جهة أخرى، كما أنها قد ساهمت في تقصير مدة هذه المحنة من جهة ثالثة؛ إذ إنَّها لم تتجاوز العام الواحد، وإن كان كذلك فبأيام معدودات، وذلك لما تحلَّى به الصَّفَدِيّ من أخلاق مهنية عالية المستوى، وأدب رفيع، وقد ظهر هذا واضحًا في رده على كتاب التَّكليف المرسل إليه من قبل رئيسه في دمشق أبي بكر الحلبي، فالصَّفَدِيّ على الرَّغم من تعلقه بمصر، ومعرفته بصعوبة العمل والعيش في الرَّحْبَة، إلَّا إنَّه تلقى كتاب التَّكليف من دمشق، بترك مصر والالتحاق بالرَّحْبَة بمنتهى القبول، دون أدنى تأفف أو امتعاض، وبكل رحابة صدر، وبادر رئيسَه أبا بكر بالدُّعاء له، لا بالدعاء عليه، كفعل مبرر للكثيرين في مثل هذه الحالات، حيث قال:" كَتَبَ هو إِلَيَّ مِن الشَّام المَحْرُوسِ، وَأَنَا بالدِّيَار الْمِصْرِيَّة المَحْروسَةِ، يَطْلُبُ مِنِّي الحُضُورَ إِلى الشَّام لِيُجَهِّزَنِي إِلى الرَّحْبَة مُوَقِعًا: [الكامل]

يَا فَاضِلاً فَخَرَ الوَرَى بِخِلَالِهِ وَعَلَا على أُفْقِ العُلَا بِجَلَالِهِ

شَرِّف دِمَشْقَ إِنْ ارْتَضَيْتَ بِزَوْرَةٍ وَاشْفِ الجَوى مِنْ كُلِّ قَلْبٍ وَالِهِ(١٣٧)

.... فكتبت أنا الجواب إليه: [الكامل]

قم في الدّجى حتى الصَّباح ووالِه بِدُعَا يقوم ببعض حقّ نوالِهِ

وأمُلْ بما تمليهِ أعطافُ الْوَرَى واحمدْ أبا بكرٍ على أفضالِهِ

واسجعْ فإنَّك ما بَرِحْتَ مطوّقاً إمَّا بِضَافِي جاههِ أو مالِهِ"(١٣٨)

ولا شك بأنَّه كان لهذا الرد المهذب كبير الأثر في ترك انطباع إجابي لدى رئيسه الأعلى، وأنَّه كان محفزًا له على إنهاء مهمة الصَّفَدِيّ في الرَّحْبَة، ومن ثم محنته في أقرب فرصة أتيحت له، وقد كان ذلك بعد وفاة القاضي بدر الدِّين العزازي كاتب الدُّرج في دمشق في الثالث عشر من ذي الحجة سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م(١٣٩).

أمَّا بالنِّسبة لرئيسه المباشر في مهمته الجديدة، وهو نائب الرَّحْبَة الأمير حسام الدِّين الغتمي، فقد حولت أخلاق الصَّفَدِيّ المهنية العالية، وأدبه الرفيع، توجسات النائب الغتمي منه إلى أعلى مراتب الود، حتى أصبح من أقرب مقربيه؛ إذ إنَّ الصَّفَدِيّ منذ البدايات، وقبل وصوله إلى الرَّحْبَة، بادر رئيسَه المباشر، برسالة غاية في الأدب، والإيجابية والحماس لمباشرة مهامه الجديدة، واللقاء برئيسه الجديد، حيث قال:" وكتبت إليه من قباقب(١٤٠) على جناح الحمام بطاقة بوصولي(١٤١)، وفيها: [مجزوء الكامل]

هـــــذي بطاقـــــة خـــــادم جـــــاء يلهـــــج بالمـــــدح
حملتهـــــا قلبـــــى الـــــذى قـــد طـــار نحـــوك بـــالفرح"(١٤٢)

والرسالة وإن لم تكن كافية لإزالة ما يعتري نفس الغتمي من توجسات وهواجس تجاه كاتب الدُّرج المرسل إليه، إلا إن سلوك الصَّفَدِيّ وأخلاقه المهنية الراقية ثبَّتت في نفس رئيسه المباشر معاني هذين البيتين، حتى إنه لم يمض على إقامته بالرَّحْبَة سوى شهرين وأيامًا، إلا وكان الصَّفَدِيّ من أحب الناس إلى قلب الغتمي، وقد وثق الصَّفَدِيّ لذلك في التَّرْجَمَة التي خصَّها له في كتابه أعيان العصر، فقال:" ولما قدمت إليها انجمع مني وانزوى عني مدة تزيد على شهرين، ثم إنه أقبل علي إقبالاً عظيماً، وأفضى إلي بأسراره، وأحسن إلي غاية الإحسان، وقال: يا مولانا، خوفوني منك، وقالوا: هذا واحد قد سيروه من مصر عيناً عليك، وزال ذلك... ولمَّا انفصلت من الرَّحْبَة وعدت إلى دمشق، زوَّدني، وأعطاني مبلغ ألف درهم، وقماشًا، وحجرًا عربية ثمينة، واستمر لي عليه

راتب في دمشق من الشَّعير لخيلي، ومن التِّبن في كل سنة، وتوجهت إلى مصر، وهو يخدمني، ويحسن إلي بأنواع، ويطلب النَّاس منِّي الشَّفاعات إليه، فلا يردَّها"(١٤٣).

وقد نتج عن هذه الأخلاق وهذا الأدب، أن أحاط بالصَّفَدِيّ شبكة واسعة من الأصدقاء والمحبين، مما كان له كبير الأثر في تجاوز المحنة التي مرت به في الرَّحْبَة، بقيامه بالتواصل والتراسل مع العديد منهم(١٤٤)، مما خفَّف عنه حرَّ أشواقه إليهم، وإلى مصر، وإلى العيش فيها، والشوق إلى أهلها، فشغل أوقاته بأنس هذه المراسلات، حيث كانت بالنسبة له متنفَّسًا، عبر من خلاله عن اشتياقه لهم، ومعاناته وقساوة الحياة التي يقضيها في الرَّحْبَة، أضف إلى ذلك مشاعر الارتياح التي كانت تتركه كتابات أصدقائه له في نفسه، وقد أشار الصَّفَدِيّ إلى ذلك برسالته الموجهة للقاضي أمين الدِّين ابن غانم(١٤٥)، ردًا على رسالته التي أدخلت إلى نفسه السَّعادة والسُّرور، حيث قال:" كتبتُ أنا جوابه من رحبة مالك بن طوق في سنة ثلاثين وسبعمئة(١٤٦): [الطويل]

كتابُــك نــورٌ صُــنتُهُ لِجُفُــوني ... وتــــاجُ عــــلًا أعددتُــــهُ لِجَبينـــي

أَتَـانِي فَـلَا وَاللهِ مـا احْتجتُ بَعْـدَها ... إلى أَنْ تُقِـــرُّ الحادثـــاتُ عُيُـــوني

ونَفَّــسَ مــن ضِـيقٍ بِرَحْبَـةِ مَالِـكٍ ... أُكابـــدُه مـــن لَوعـــةٍ وَحَنـــينِ

فَـمَا الطَّــرف إذْ أبصرــتَهُ بِمُسَــهَّدٍ ... ولا القلـــبُ إذْ عَايَنْتَـــهُ بِحَـــزينِ

تُغـــازِلُني أَلفاظُـــهُ فِي سُـــطُورِهِ ... بِسِـــحْرِ مَعـــانٍ مـــن لَـــواحِظِ عِـــيْنِ

وَأَنْظُـــرُ في مَنْشـــورِهِ مُتَنزِّهـــاً ... فأشـهدُ سَـجْعَ الـوُرْقِ فَـوْقَ غُصـونِ"(١٤٧)

والكلام يطول عن أخلاق الصَّفَدِيّ، وأدبه، ومراسلاته، وآثار ذلك على خلاصه من محنته في الرَّحْبَة، لكن أكتفي بهذا القدر، راجيًا من الله سبحانه وتعالى أن أكون قد وفقت بالتَّعريف بهذه المرحلة الزمنية من حياة الصَّفَدِيّ، مؤكدًا على العبرة المستخلصة من البحث والمتمثلة ببضرورة التَّحلي بالأخلاق العالية دائمًا، والأدب الرفيع، والتواصل الإيجابي مع المعارف المخلصين، وذلك للتَّغلب على صعوبات الحياة، وأختم حديثي بذكر أهم النَّتائج التي توصل إليها البحث.

سادسًا: الخاتمة: (النتائج التي توصل إليها البحث)

أختم حديثي عن محنة الصَّفَدِي في الرَّحْبَة كاتبًا للدُّرج بالوقوف على النَّتائج الَّتي توصل إليها البحث، والتي يمكن تلخيصها بالآتي:

١- عرَّف البحث بحياة الصَّفَدِي بشكل عام، من حيث: الاسم، واللَّقب، والنَّسب، والمولد، والنَّشأة، والمذهب، والتَّنقلات، والوفاة، والأصدقاء، والشُّيوخ، والمؤلَّفات.

٢- عَرَّف البحث بالرَّحْبَة من حيث الموقع، والأدوار التَّاريخيَّة، لا سيما في العصر الذي عاش فيه الصَّفدي، وهو العصر المملوكي الأول، حتى الوقت الحالي.

٣- كشف البحث عن طبيعة المهمة التي تولَّاها الصَّفدي في الرَّحْبَة.

٤- وضح البحث المدى الزَّمني للمحنة الَّتي مرَّت بالصَّفدي في الرَّحْبَة.

٥- بيَّن البحث مظاهر المحنة التي مرَّت بالصَّفَدِي في الرَّحْبَة.

٦- علَّل البحث تجاوز الصَّفَدِي للمحنة التي مرَّت به في الرَّحْبَة.

٧- كشف البحث عن نتاج تاريخي أدبي رفيع المستوى تبادله الصَّفَدِي مع معارفه خلال مدَّة المحنة التي قضاها في الرَّحْبَة، وقد أَطْلَقْتُ على هذا النتاج اصطلاحًا: (الرحبيات الصَّفدية)، على أمل أنْ يجد طريقه للنَّشر في المستقبل القريب إن شاء الله.

٨- خَلُصَ البحث إلى العبرة المتمثلة بضرورة التَّحلي بالأخلاق العالية، والأدب الرَّفيع، والتَّواصل الإيجابي مع المعارف المخلصين، وذلك على الدَّوام، وفي كافة الظروف، للتَّغلب على صعوبات الحياة.

والبحث مزود بعدد من الملاحق المتعلقة بمادته العلمية، وقائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمد عليها، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الملاحق

ملحق رقم: (١)

دولة المماليك في أقصى اتساعها

(محيط تنقلات صلاح الدين الصَّفدي ورحلاته):

انظر: عاشور: العصر المماليكي في مصر والشَّام، ص٢٥٥.

ملحق رقم: (٢)

موقع الرَّحْبَة شرق نهر الفرات عند ابن حوقل:

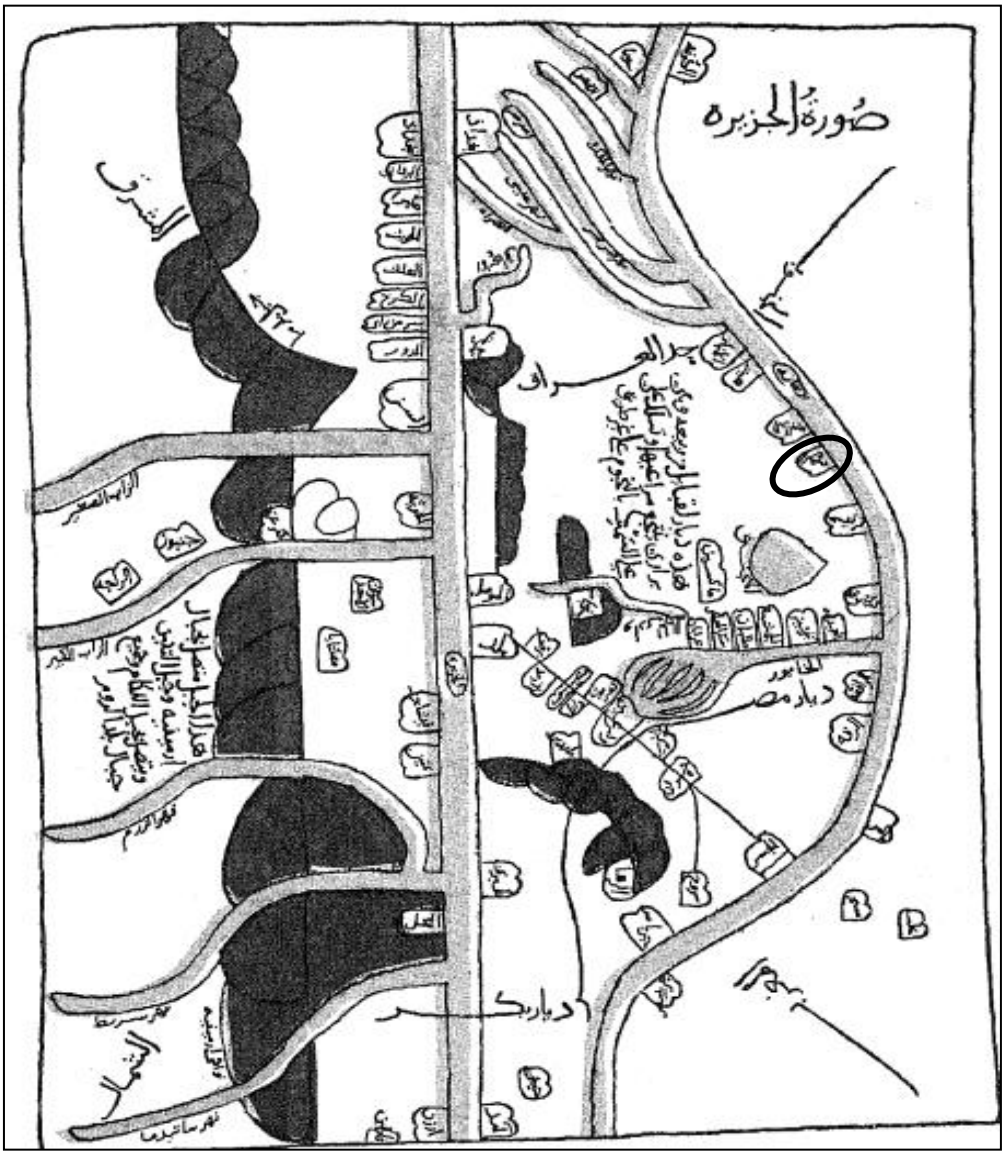

انظر: ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٨٨.

ملحق رقم: (٢)

موقع الرَّحْبَة الحقيقي غرب نهر الفرات عند عياش:

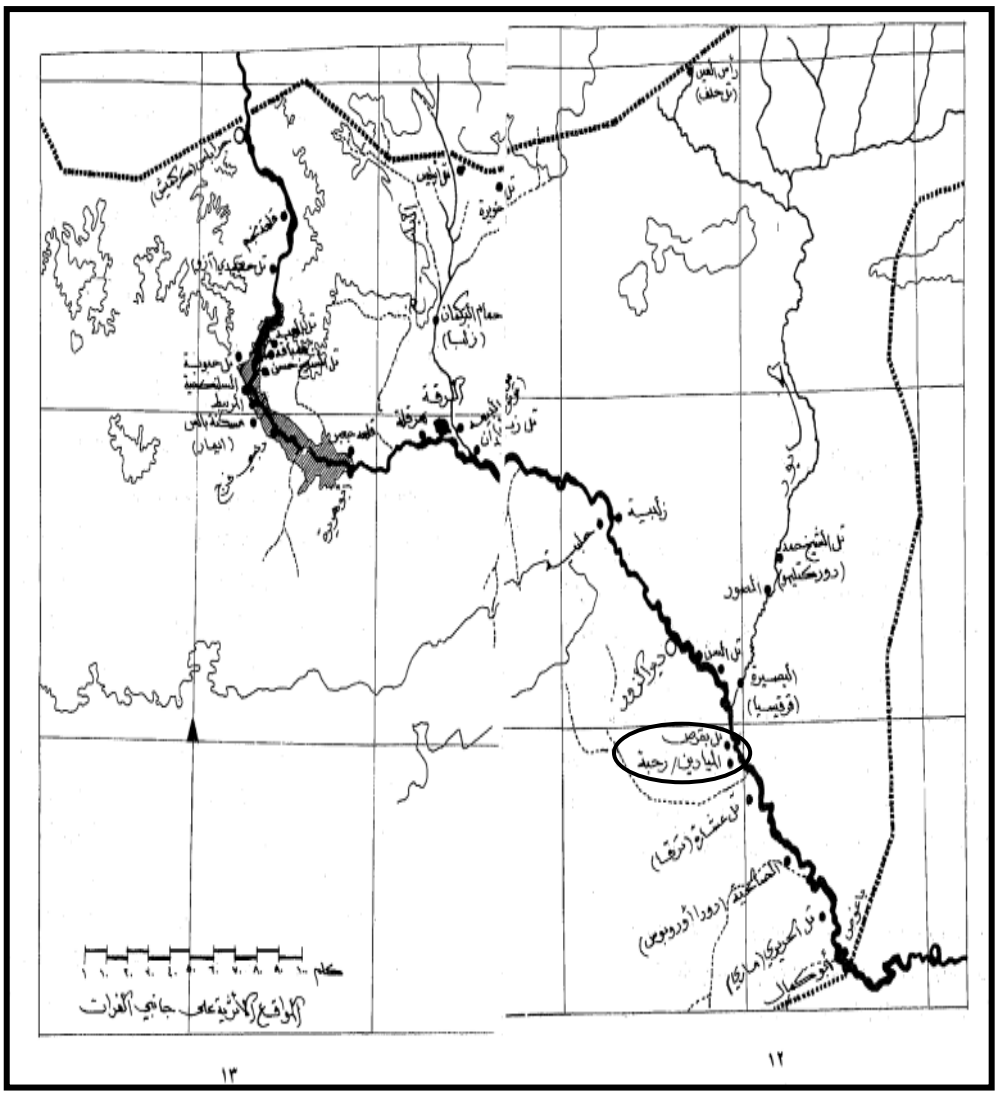

انظر: عياش: حضارة وادي الفرات، ص١٢، ١٣.

ملحق رقم: (٣)

مخطط قلعة الرَّحْبَة:

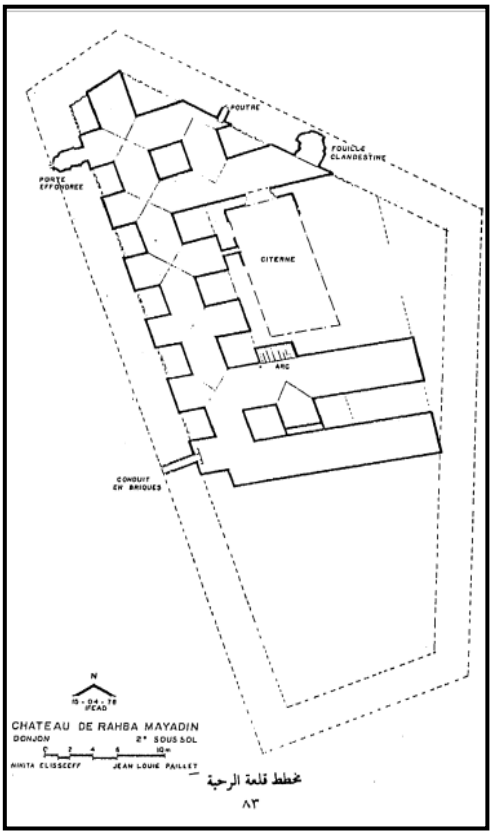

ملحق رقم: (٤)

صورة قلعة الرَّحْبَة:

انظر: عياش: حضارة وادي الفرات، ص٨٣. قلعة الرَّحْبَة

/https://syriafriends.net/2019/06/

هوامش البحث:

(١) لاشين، محمد عبد المجيد، الصفدي وآثاره في الأدب والنقد، دار الآفاق العربية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠٠٥م، ص٤٣.

(٢) المعلومة للأسف غير محالة إلى أي من المصادر. انظر: رزق الله، عواطف آدم، صلاح الدين الصفدي وجهوده الأدبية والنقدية "دراسة تحليلية نقدية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠٠٧م، ص٤٠.

(٣) الطراونة، مبارك محمد، نيابة الرحبة: تبعيتها وتقسيماتها الإدارية في العصر المملوكي ٦٥٨-٩٢٢هـ/ ١٢٦٠-١٥١٦م، مجلة المشكاة للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج٥، ع١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠١٨م، ص٢٤٦، ٢٤٩.

(٤) أَيْبِك: لفظ تركي مؤلف من كلمتين، الأولى: أَيْ، وتعني: القمر. والثانية بِكْ، وتعني: الأمير. وكان ممن تسمى بهذا الاسم السُّلْطَان أيبك أول سلاطين المماليك، واسمه الكامل المعز فخر الدِّين أيبك الجاشنكير، وقد حكم بين عامي(٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م) انظر: حلاق، حَسَّان وصَبَّاغ، عباس، المُعْجَم الجَامِع في الْمُصْطَلَحَات الأَيُّوبِيَة والْمَمْلُوكِيَة والعثمانية ذات الأصول العربية والفَارِسِية والتُّرْكِيَّة، دار العلم للملايين، بَيْرُوت-لُبْنَان، ط١، ١٤٢١هـ/١٩٩٩م، ص٢٩.

(٥) بالنِّسبةِ للقبِ الصَّفَدِيّ بغرسِ الدِّينِ؛ فقد أورد في كتابه: ألحان السَّوَاجِع، في المادة الخاصة بشافع بن علي بن إسماعيل، فقال:" كتبت أنا إليه أستدعي إجازته، وأنا بالقاهرة المحروسة سنة ٧٢٨:... فكتب إلي الجواب:.. وبعد، فإنِّي وقفت على ما التمسه الإمام الفاضل.. وهو غرس الدِّين خليل بن أيبك:..". انظر: الصَّفَدِيّ، خليل بن أَيْبِك، ألحان السَّوَاجِع بين البادئ والمراجع، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق-سوريا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٤٤م، ج١، ص ص٣٥٣-٣٥٥.

(٦) بالنسبة للقب الصَّفَدِيّ بصلاح الدِّين؛ فإنّ معظم أصدقائه والمعاصرين له، أشاروا إليه بهذا اللَّقب، عندما ترجموا له، ومنهم: الذَّهَبِي، والْعُمَرِيّ، والسُّبْكِي، وابن رافع السّلامي. انظر: الذَّهَبِي، مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ، المُعْجَم الْمُخْتَص بِالْمُحَدِّثِينَ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ حَبِيب الهيلة، مَكْتَبَةُ الصِّدِّيق، الطَّائِف، السُّعُوْدِيَّة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص٩١، الْعُمَرِيّ، أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى، مَسَالِك الأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ، تَحْقِيق: مهدي النَّجم، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت-لُبْنَان، ط١، ٢٠١٠م، ج١٢، ص٣٥٤، السُّبْكِي، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى، تَحْقِيق: عبد الفتاح الحلو ومَحْمُود الطَّنَاحي، دار هجر، الْقَاهِرَة-مصر، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ج١٠، ص٥، ابن رافع، مُحَمَّد بن رافع، الْوَفِيَات، تَحْقِيق: صالح مهدي عباس وبَشَّار عَوَّاد معروف، مُؤَسَسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوت-لُبْنَان، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ج٢، ص٢٦٨، ٢٦٩.

(٧) ابن فضل الله الْعُمَرِيّ: هو أحمد بن يحيى بن فضل الله الْعُمَرِيّ، نسبة إلى سيدنا عمر بن الخطاب، ﷺ، صاحب كتاب مَسَالِك الأَبْصَارِ في مَمَالِك الْأَمْصَار، ولد في دمشق سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م، وتوفي فيها سنة ٧٤٩هـ/١٢٤٩م. انظر: الصَّفَدِيّ، خليل بن آيبك، الْوَافي بالْوَفِيَّات، تَحْقِيق: أَحْمَد الأرناؤوط وزكي مُصْطَفَى، دَار إِحْيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت- لُبْنَان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج٨، ص ص١٦٣-١٧٥، الصَّفَدِيّ، خليل بن أيبك، أَعْيَان الْعَصْر وأعوان النَّصر، تَحْقِيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دِمَشْق-سوريا، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج١، ص ص٤١٧-٤٣٤، ألحان السَّوَاجِع، ص ص١٤٩-١٩١.

(٨) الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تَحْقِيق: النَّجم، ج١٢، ص ص٣٥٤-٣٧٧.

(٩) ابْن الحسام الافتخاري: هو الشَّاعِر زين الدِّين أَبُو حَفْص عمر بن آقُوش الذَّهَبِي، ولد في سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م، وتوفي في طاعون دمشق في الثَّاني من رمضان، سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م. انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٢٢، ص٢٦٩، ٢٧٠، أَعْيَان الْعَصْر، ج٣، ص ص٥٩٨-٦٠١، ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٢٦، ابن حَجَرٍ: أحمد بن علي، الدُّرَر الْكَامِنَة في أَعْيَان المائة الثامِنة، تَحْقِيق: سالم الكَرَنْكُوي، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العربي، بَيْرُوت- لُبْنَان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٣، ص١٥٦.

(١٠) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٣، ص٥٩٨، ٥٩٩.

(١١) الذَّهَبِي، الْمُعْجَم الْمُخْتَص، ص٩١. وفارس الدِّين ألبَكي: هو فارس الدِّين ألبَكي الظَّاهري، أحد أمراء المماليك المشهورين، تولى نيابة صَفَد مدة عشر سنوات للْمَنْصُور قَلَاوُون (٦٧٨-٦٨٩هـ/١٢٧٩-١٢٩٠م)، ولما تولى حسام الدِّين لاجين (٦٩٦-٦٩٨هـ/١٢٩٧-١٢٩٩م)، فرّ إلى ملك التَّتَار مَحْمُود غَازَان (٦٩٣-٧٠٣هـ/١٢٩٤-١٣٠٤م)، وتولى له نيابة حمص، وبها كانت وفاته في ذي القعدة سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م. انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٩، ص٢٠٣، ابن حَجَرٍ: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٤، ٤٠٥.

(١٢) ابن رافع: هو تقي الدِّين أبو المعالي محمد بن رافع بن هجرس بن محمد بن شافع السَّلامي، صاحب كتاب الوفيات، ولد في ذي الحجة سنة ٧٠٤هـ/١٣٠٥م، وكانت وفاته في دمشق سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م. الذَّهَبِي: الْمُعْجَم الْمُخْتَص، ص٢٢٩، ٢٣٠، ابن حَجَرٍ: المصدر السابق، ج١، ص٤٠٤، ٤٠٥.

(١٣) ابن رافع: الْوَفِيَات، ج٢، ص٢٦٨، ٢٦٩. والفاري نسبة إلى فار، وهي بلدة من نواحي أرمينية، انظر: الْحَمَوِيّ، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بَيْرُوت-لُبْنَان، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ج٤، ص٢٢٥.

(١٤) صَفَد: مدينة في جبال عاملة المطلَّة على حمص بالشَّام، وهي من جبال لبنان، وقد ذكرها الْعُمَرِيّ في كتابه مَسَالِك الأَبْصَارِ، فقال:" وصَفَد مدينة في سفح جبل، صحيحة الهواء، خفيفية الماء...". وذكر أنّه يتبع لها أحد عشر عملًا، وهي تبعد عن القُدس من طريق طَبَرِيَّة قرابة ٢٠٨كم. انظر: الْحَمَوِيّ: معجم البلدان، ج٣، ص٤١٢. الْعُمَرِيّ، أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى، مَسَالِك الأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ، تَحْقِيق: كامل سلمان الْجُبُورِي، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ٢٠١٠م، ج٣، ص ص٣٧٢–٣٧٤، الدَّبَّاغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الهدى، كَفْر قرع–فلسطين، ١٩٩١م، ج١، ق١، ص ص١٥٥–١٥٨.

(١٥) قال ابن رافع في كتابه الوفيات:" ومولده تقريبًا سنة ست وتسعين وست مئة بصَفَد". والسُّبْكِي كذلك ذكر في كتابه طبقات الشَّافعية: أنّ ولادته كانت في سنة ٦٩٦/١٢٩٧م، وكلاهما كانا من معاصريه، حتى أنّ السُّبْكِي كان من أصدقائه المقربين، وله ترجمة لاحقة إن شاء الله. انظر: ابن رافع: الْوَفِيَات، ج٢، ص٢٧٠، السُّبْكِي: طبقات الشَّافعية، ج١٠، ص٥، ٦.

(١٦) لقد ترجم الْعُمَرِيّ للصَّفَدِيّ في كتابه مَسَالِك الأَبْصَارِ في مَمَالِك الْأَمْصَار، لكن لم يذكر في هذه التَّرْجَمَة تاريخ الولادة، وذكر الذَّهَبِي في الْمُعْجَم الْمُخْتَص، فقال:" ولد سنة تسع وتسعين وستمائة" (٦٩٩هـ/١٣٠٠م)، وكلاهما من مقربيه، وترجم له ابن حَجَرٍ في الدُّرَر، فقال عن ولادته:" ولد سنة ست أو سبع وتسعين وستمائة تقريبًا". انظر: الذَّهَبِي: الْمُعْجَم الْمُخْتَص، ص٩١، الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تَحْقِيق: النَّجم، ج١٢، ص ص٣٥٤–٣٧٧، ابن رافع: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٠، السُّبْكِي: المصدر السابق، ج١٠، ص٥، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٢، ص٨٧.

(١٧) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص٣٨. وقال ابن حبيب في تذكرة النبيه:" مولد المولى صلاح الدِّين الصَّفَدِيّ سنة ست وتسعين وستمائة، كذا وجدته بخطه". انظر: ابن حبيب، الحسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام الْمَنْصُور وبنيه، تَحْقِيق: مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، مطبعة دار الْكُتُب الْمِصْرِيَّة، الْقَاهِرَة – مصر، ط١، ١٩٧٦م، ج٣، ص٢٧١.

(١٨) وردت هذه الأبيات في آخر قصيدة مؤلفة من ٢٠ بيتاً، وترتيبها: ١٥، ١٦، ١٧، والقصيدة جاءت ردًّا على قصيدة مؤلفة من ١٩ بيتًا للشيخ الأديب يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد الحنبلي يطلب فيها الإجازة من الصَّفَدِيّ، وذلك في سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م، حيث جاء في البيت التاسع عشر والأخير من أبيات الشيخ يوسف بن محمد الحنبلي:

وحررتهـــا في عـــام ســـبع مئـــين مـــع خمســـين ثـــم ثـــمان بعـــد تحمـــدِ

انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص ص٣٥٢–٣٥٤.

(١٩) أسَّس هذه الدَّولةَ المماليكُ البحرية، وهم فئة من الرَّقيق الأبيض، اعتمد عليهم الصَّالح أيوب (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٤٠-١٢٤٩م)، وأسكنهم في جزيرة الروضة في وسط (بحر) نهر النِّيل، فسمُّوا بالبحرية، وقد أسسوا دولتهم بعد سلسلة من الأحداث، أعقبت وفاة الصالح أيوب، وكان أول سلاطينهم معز الدِّين أيبك (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠-١٢٥٧م)، وآخرهم السُّلْطَان الصالح أمير حاجي (٧٨٣-٧٨٤هـ/١٣٨١-١٣٨٢م)، وأشهرهم السُّلْطَان النَّاصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/ ١٢٩٤-١٣٤١م)، الذي عاصر الصَّفَدِيّ. انظر: عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشَّام، دار النَّهضة، القاهرة–مصر، ط٢، ١٩٧٦م، ص ص١-١٣٥.

(٢٠) كاتب الدُّرج: مصطلح مملوكي، يُطْلَق عَلَى رئيس الكتبة في ديوان الإنشاء، والدُّرج:" بمعنى الرِّسالة، لأنها تدرج درجًا، أي: تُلَف". انْظُرْ: حَلَّاق وَصَبَّاغ: المُعْجَم الجَامِع، ص١٨٣.

(٢١) أورد ابن حَجَرٍ بهذا الخصوص، فقال:" وأول ما ولي كتابة الدُّرج بصفد، ثم بالقاهرة، وباشر كتابة السِّر بحلب وقتًا، وبالرَّحْبَة، وقتًا، والتَّوقيع بدمشق ووكالة بيت المال". انظر: ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٢، ص٨٧.

(٢٢) من المواسم التي حجَّ فيها الصَّفَدِيّ موسم سنة ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، وقد أورد في كتابه أَعْيَان الْعَصْر في التَّرْجَمَة الخاصة بالقاضي أمين الدِّين إبراهيم بن أحمد ابن غانم:" وكنتُ في وقت عزمي على الحجِّ في سنة خمس وخمسين وسبع ومئة قد اتفق معي، ومع القاضي ناصر الدِّين كاتب السِّر بالشَّام على أنه يحُجّ معنا، وأعطانا على ذلك مواثيق وعهودًا، فلمَّا حقَّت النَّهضة غاب عنَّا، ولم نظفر به". انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص٥٧، ٥٨. انظر: ملحق:(١).

(٢٣) أورد السُّبْكِي":" وكنت قد ساعدته آخر عمره، فولِّي كتابة الدَّست بدمشق، ثمَّ ساعدته فولِّي كتابة السِّر بحلب، ثم ساعدته، فحضر إلى دمشق على وكالة بيت المال وكتابة الدَّست، واستمر بها إلى أنْ مات بالطَّاعون ليلة عاشر شوال سنة أربع وستين وسبعمائة". وأورد ابن رافع:" وفي ليلة الأحد عاشر شوال منها، توفي الإمام الأديب صلاح الدِّين أبو الصَّفاء خليل بن أيبك بن عبد الله الألبكي الفاري الصَّفَدِيّ بدمشق". انظر: السُّبْكِي: طبقات الشَّافعية، ج١٠، ص٥، ٦، ابن رافع، الوفِيَّات، ج٢، ص٢٦٨، ٢٦٩. والدَّست: مصطلح مملوكي، أطلق على مكان جلوس الكتاب في الدِّيوان السُّلْطَاني. انْظُرْ: حَلَّاق وَصَبَّاغ: المرجع السابق، ص٩١.

(٢٤) أفرد الْعُمَرِيّ للصَّفَدِيّ في كتابه مَسَالِك الأَبْصَارِ في مَمَالِكِ الأَمْصَار، في آخر الجزء الثاني عشر الذي خصَّه للحديث عن الكتاب ترجمة خاصة قاربت ٢٤ صفحة، وترجم الصَّفَدِيّ للعمري، في كتابه الوافي بها يقارب ١٣ صفحة، وفي كتابه أَعْيَان الْعَصْر بها يقارب ١٧ صفحة، وفي كتابه ألحان السَّوَاجِع بها

يقارب ٤٣ صفحة. انظر: الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تَحْقِيق: النَّجم، ج١٢، ص ص٣٥٤-٣٧٧، الصَّفَدِيّ: الْوَافِي بالْوَفِيَّات، ج٨، ص١٦٣-١٧٥، أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص ص٤١٧-٤٣٤، ألحان السَّوَاجِع، ص ص١٤٩-١٩١.

(٢٥) تاج الدِّين السُّبْكِي: هو أبو نصر عبد الوهاب بن تقي الدِّين علي بن عبد الْكَافِي السُّبْكِي، صاحب طبقات الشَّافعية الكبرى، ولد بالقاهرة سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م، وقدم دمشق مع والده سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، وتولى فيها قضاء القضاة، وكانت وفاته بدمشق في ذي الحجة سنة ٧٧١هـ/١٣٧٠م. انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافِي بالْوَفِيَّات، ج١٩، ص٢١٠، ٢١١، ابن رافع: الوفيات، ج٢، ص ص٣٦٢-٣٦٤، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٢ ص ص٤٢٥-٤٢٨.

(٢٦) السُّبْكِي: طبقات الشَّافعية، ج١٠، ص ص٥-٣٢، وقد أفرد الصَّفَدِيّ لصديقه تاج الدِّين السُّبْكِي ترجمة خاصة في كتابه الْوَافِي بالْوَفِيَّات، وذكر في كتابه ألحان السَّوَاجِع المكاتبات التي جرت بينهما. الصَّفَدِيّ: الْوَافِي بالْوَفِيَّات، ج١٩، ص ٢١٠، ألحان السَّوَاجِع، ص ص٣٩٢-٤٢٤.

(٢٧) أورد الصَّفَدِيّ ردًا على ابن الحسام المشار إليها سابقًا: " وكتبت أنا إليه من الرَّحْبَة: [البسيط]

كتبتُ والدَّمعُ قدْ غَطَى على بَصَرِي ... وبتُّ فيكَ نَجِيَّ الهَمِّ وَالْفِكَرِ

وأشتهي مِنْ جَوَى قَلْبِي وَحُرْقَتِهِ ... لَو أشتري سَاعَةَ بالعمرِ مِنْ عَمَرِ

انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٣، ص٥٩٩.

(٢٨) ابن النَّقيب الْبَعْلَبَكِّي: هو شهابُ الدِّين أبو العباس أحمد بن بلبان، المعروف بابن النَّقيب البَعْلَبَكِّي الشَّافعي، مفتي دار العدل وشيخ الإقراء بالشَّام، ولد في قلعة بَعْلَبَك سنة ٦٩٤هـ/١٢٩٥م، وتوفي في١٧رمضان سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م، وقد أورد الصَّفَدِيّ في كتابه: ألحان السَّوَاجِع: " كتبت إليه من الرَّحْبَة المحروسة، أول قدومي إليها في سنة ٧٢٩ أسأله عن خبر جماعة من الأصحاب بالقاهرة المحروسة من جملة كتاب:...". انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص ص٥٩-٦٣، أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص ص٢٠١-٢٠٤.

(٢٩) زَيْن الدِّين الصَّفَدِيّ: هو القاضي أبو حفص عمر بن داود بن هارون الصَّفَدِيّ، كاتب الإنشاء بالشَّام ومصر، وقد كان من أصدقاء الصَّفَدِيّ، وابن فضل الله الْعُمَرِيّ، ولد سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، وتوفي سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م، وله مع الصَّفَدِيّ مكاتبات وردود مبكرة تعود إلى سنة ٧١٦هـ/ ١٣١٦م، وقد أورد الصَّفَدِيّ في كتابه ألحان السَّوَاجِع:" وكتبتُ أنا إليهِ مَن الرَّحْبَة المحروسة، وهو يومئذ بدمشق المحروسة، أهنئه بمولودٍ جاءَه في سنةِ ٧٣٠"...". انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٢٦، ٢٧، الْوَافِي بالْوَفِيَّات، ج٢٢، ص٢٨٧-٢٩٥، الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تحقيق: النَّجم، ج١٢، ص ص٣٤٦-٣٥٤، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٣، ص١٦٥، ١٦٦.

(٣٠) هو جمال الدِّين عبد الله بن علي بن محمد بن سلمان بن غانم، أحد كتاب الإنشاء بالشَّام، ولد سنة ٧١١هـ/١٣١٢م، وتوفي سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٤م، وقد أورد الصَّفَدِيّ:" كتب إليّ عند قدومي من الرَّحْبَة المحروسة، ودخولي إلى ديوان الإنشاء بالشَّام المحروس في سنة ٧٣١ه:...". والنَّص بفوارق في الوافي، وفي أَعْيَان الْعَصْر. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص ص٣٥٧-٣٧٦، الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج١٧، ص ص١٨٩-١٩٧، أَعْيَان الْعَصْر، ج٢، ص٧٠١، ٧٠٢، الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تحقيق: النَّجم، ج١٢، ص ص٣٤٠-٣٤٥، ابن حَجَرٍ: المصدر السابق، ج٢، ص٢٧٨.

(٣١) أفرد الصَّفَدِيّ كتابه: ألحان السَّوَاجِع بين البادئ والمراجع، لجمع مراسلاته مع أصدقائه وشيوخه ومحبيه، ومن أصدقائه الذين راسلهم أثناء محنته في الرَّحْبَة بالإضافة إلى ما ذكر: القاضي أمين الدِّين ابن غانم، والقاضي شرف الدِّين الطَّائي، والكاتب شهَاب الدِّين الْحُسَيْن بن مُحَمَّد العوكلاني، والقاضي عمر بن داود الصَّفَدِيّ، والأمير ناصر الدِّين محمد بن الجنكلي، والقاضي تَاج الدِّين السَّعدي المعروف بابْن البارنباري. انظر: الصفدي: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص ص٤٢-٤٧، ص ص٢٦٠-٢٦٢، ص ص٢٩٠-٢٩٥، ج٢، ص ص٢٦-٤٠، ص ص٧٣-٨٣، ص ص٢٦٨-٢٧٦.

(٣٢) الشَّيخ أبو الثَّنَاء الْحَلَبِي: هو شِهَاب الدِّين أبو الثَّنَاء مَحْمُود بن سلمان بن فهد الْحَلَبِي الدِّمَشْقيّ، ولد سَنَة ٦٤٤هـ/١٢٤٦م، وتولى كتابة الإنشاء بدِمَشْق، ومِصْر، عرف بمواظبته على العبادة، وبراعته في الكتابة، وشعره، وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بدِمَشْق سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م، وقد أورد الصَّفَدِيّ في الوافي:" وقرأت عليه المقامات الحريرية بدمشق، وبعض ديوان المتنبي، وألفية ابن مالك، وكتابه: حسن التَّوسل إلى صناعة التَّرسل، وكتابه: أهنى المنائح في أسنى المدائح، وكتبتها بخطي، وكثيرًا من شعره ونثره". انْظُرْ: الْعُمَرِيّ: المصدر السابق، ج١٢، ص ص٢٩٣-٣٣٠، الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٢٥، ص ص١٦٧-٢٠٠، ابن حَجَرٍ: المصدر السابق، ج٤، ص٣٢٤-٣٢٦، ابن الْعِمَاد، عبد الحي بن أحمد، شَذَرَات الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ من ذهب، تَحْقِيقُ: مَحْمُود الأرناؤوط، دَار ابن كَثِير، دِمَشْق- سوريا، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٨، ص١٢٤، ١٢٥.

(٣٣) جَلَال الدِّين القَزْوِينى: هو قَاضِىَّ الْقُضَاةِ أبو المعالى مُحَمَّد بن عبدِ الرَّحْمَن بن عمر الشَّافِعِىّ، ولد بالْمُوصِل سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م، وتولى القضاء بدمشق سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م، ومن ثم تولى قضاء القضاة في مصر سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٧م، ونقل إلى قضاء الشَّام سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، وَكانت وفاته فِي دمشق سنة ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، وَقَدْ أورد الصَّفَدِيّ في الوافي:" وأجاز لى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة". وذكر في أَعْيَان الْعَصْر مكان الإجازة، أنَّها كانت بالقاهرة. انْظُرْ: الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تحقيق: الجبوري، ج٩، ص

ص١٢٣-١٣١، الصَّفَدِيّ: الوافي بالوفيات، ج٣، ص١٩٩، ٢٠٠، أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص ص٤٩٢-٤٩٣.

(٣٤) السُّبْكِي: هو الإمام تقي الدِّين علي بن عبد الْكَافِي بن عَليّ بن تَمام السُّبْكِي، ولد في مصر سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م، وتوفي فيها سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وقد أورد الصَّفَدِيّ، بخصوص تلقيه العلم على يديه، في التَّرْجَمَة التي خصَّه بها في كتابه أَعْيَان الْعَصْر: " ولمَّا توفي قاضي القضاة جلال الدِّين القَزْوِيني بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة، طلبه السُّلْطَان الأعظم الملك الناصر محمد... وقال له: يا شيخ تقي الدِّين قد وليتك قضاء الشَّام... وكنت أنا في خدمته طول الطريق فالتقطت الفوائد، وجمعت الفرائد...". وعندما عدد مؤلفاته قال أيضًا: " وكتاب شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام... وقرأته عليه بالقاهرة في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة من أوله إلى آخره...". وأورد كذلك شهادات أخرى لكن اكتفى بذلك. انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر: ج٣، ص ص٤١٧-٤٥٥.

(٣٥) أَبُو حَيَّان الْغُرْنَاطِيّ: هو أثير الدِّين مُحَمَّد بن يُوسُف بن علي بن حَيَّان، من عُلَمَاء اللُّغَة والنحو، وصاحب تفسير البحر المُحْيّط، ولد بغُرْنَاطَة سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وَتُوفِّي بالقاهرة سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م. وقد أورد الصَّفَدِيّ في الوافي، فقال:" العلامة أثير الدِّين... الشيخ الإمام الحافظ فريد العصر... ولم أرَ في أشياخي أكثر اشتغالاً منه... وقرأت عَلَيْهِ الْأَشْعَار السِّتَّة، والمقامات الحريرية... وقرأت عَلَيْهِ أَيْضًا سقط الزند لأبي الْعَلَاء... وَغير ذَلِك". وقد أجاز الصَّفَدِيَّ بالرواية عنه. انْظُرْ: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٥، ص ص١٧٥-١٨٦، أَعْيَان الْعَصْر: ج٥، ص ص٣٢٥-٣٥٣، الْعُمَرِيّ: الْمُصْدَر السَّابِق، ج٧، ص٢٢٣-٢٤٩، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٤، ص ص٣٠٢-٣١٠.

(٣٦) ابن دقيق العيد: هو الْقَاضِي تَقِيّ الدِّين، أَبُو الْفَتْح مُحَمَّد بن علي بن وهب الْقُشَيرِي، المعروف بابن دَقِيق العِيد، نزْ كبار فُقَهَاء المحدثين فِي مِصْرَ، ولد فِي سَنَةِ ٦٢٥هـ/١٢٢٨م، وتوفي فِي سَنَةِ ٧٠٢هـ/١٣٠٢م". انْظُرْ: الْعُمَرِيّ: الْمُصْدَر السَّابِق، ج٥، ص ص٣٥٨-٣٦٤، الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٤، ص ص١٣٧-١٤٨.

(٣٧) الصَّفَدِيّ: الْمُصْدَر السَّابِق، ج٥، ص١٧٥، ١٧٦.

(٣٨) ابن نَبَاتَة: هو جَمَال الدِّين أَبُو بَكْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحَسَن الجُذَاميّ، المعروف بابن نَبَاتَة، ولد بمِصْر سنة٦٨٦هـ/١٢٨٦م، وتوفي فيها سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، والمادة التي خصَّها الصَّفَدِيّ لشيخه ابن نَبَاتَة في كتابه ألحان السَّوَاجِع حوالي ٨٨ صفحة، وقد ورد فيها:" ولمَّا قدمت من الدِّيَار المصرية المحروسة في سنة ٧٢٩ متوجهًا إلى الرَّحْبَة، أهدى إليّ هو طعامَ بَسَلاّ فكتبت أنا إليه: وكتبتُ إليهِ من الرَّحْبَة المَحْرُوسَة في سنة ٧٣٠:"، وأورد في الوافي:" كتبت إِلَيْهِ من الدِّيَار المصرية فِي سنة تسع وَعشْرين وَسبع مائَة استدعاءً لإجازته لي". وفي أَعْيَان الْعَصْر، قال الصَّفَدِيّ في التَّرجمة الخاصة بوالد شيخه جمال الدِّين:" وكان له بدمشق سكن بالظَّاهرية، سمعت عليه بعض أجزاء بدمشق، وأجاز لي بخطه سنة

ثلاثين وسبع مئة، وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة خمسين وسبع مئة، ومولده بمصر سنة ستٍّ وستين وست مئة". انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص ص١٨٠-٢٦٨، الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج١، ص ص٢٣٤-٢٤٨، أَعْيَان الْعَصْر، ج٥، ص١٩٢، ١٩٣، الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، تحقيق: الجبوري، ج١٩، ص ص٢٣٠-٣١٢، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٤، ص ص٢١٦-٢١٨.

(٣٩) ابن الأَكْفَانِيّ: وهو الْحَكِيم شَمْس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن ابرهيم الأنصاري، ولد في سنجار، وعاش في مِصْر، ويعد من علماء الطِّب والرِّياضيات البارزين، وقد أورد الصَّفَدِيّ في كتابه ألحان السَّوَاجِع، فقال:" كتبتُ إليهِ من الرَّحْبَة المَحروسَة في سَنَةِ ٧٣٠:.. فَكَتَبَ هوَ إليَّ الجَوَابَ عَنْ ذَلِكَ:..."، كما أنَّه أورد في كتابه أَعْيَان الْعَصْر، فقال:" اجتمعت به فكنت أرى العجائب.. أخذت عنه فوائد في الرِّياضي، وملأت بقطر علومه حياضي.. وما سألته عن شيء... عما يتعلق بعلوم الحكمة من المنطق والطَّبيعي والرِّياضي والإلهي إلَّا وأجاب بأحسن جواب..". وكانت وفاته في طاعون مِصْر سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٩م. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص ص٥٩-٦١، الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٢، ص٢٠، ٢١، أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص ص٢٢٦-٢٣٠.

(٤٠) الذَّهَبِي: هو شَمْس الدِّين أبو عبد الله مُحَمَّد بن أَحْمَد بن عُثْمَان بن قَايْمَاز الذَّهَبِي، من كبار حُفَّاظ الحديث، ولد سنة ٦٧٣هـ/١٢٧٤م، وتوفي سَنَة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م. انْظُرْ: الْعُمَرِيّ: الْمُصْدَر السَّابِق، ج٥، ص ص٢٥١-٢٥٤، الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٢، ص ص١١٤-١١٨.

(٤١) الذَّهَبِي: المُعْجَم المُخْتَص، ص٩٢، وقد أورد الصَّفَدِيّ في الوافي:" وَمن تصانيفه تَارِيخ الإسلام وَقد قَرَأت عَلَيْهِ مِنْهُ الْمَغَازِي والسيرة النَّبَوِيَّة إِلَى آخر أَيَّام الْحسن، وَجَمِيع الْحَوَادِث إِلَى آخر سنة سبعمائة، وتاريخ النبلاء، والدُّول الإسلامية، وطبقات الْقُرَّاء، وَسَماهُ: معرفَة الْقُرَّاء الْكِبَار على الطَّبَقَات والأعصار، تناولته مِنْهُ وأجازني رِوَايَته..". انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٢، ص١١٥.

(٤٢) يقع الكتاب في جزأين، وقد تضمَّن الجزء الأول ٥٥ شخصية، والثاني ٥٢. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص ص٥-٤٤٠، ج٢، ص ص٥-٣٦٤، ص ص٤٦٠-٤٦٤.

(٤٣) السُّبْكِي: طبقات الشَّافعية، ج١٠، ص٥.

(٤٤) ابن كَثِير، الْبِدَايَة والنِّهَاية، مكتبة دار المعارف، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط٧، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج١٤، ص٣٠٣.

(٤٥) كتاب الْوَافي بالْوَفِيَّاتِ أو التَّاريخ الكبير: عبارة عن موسوعة في التَّرَاجِم، حيث حوى على أكثر من ١٢٠٠٠ ترجمة بدأها بالتَّرجَمَة لِلنَّبِيّ ﷺ، وشملت كلًا من الخلفاء الرَّاشدين، والصَّحَابَة، والتَّابعين، والملوك، والْأُمَرَاء، والْوزَرَاء، والقضاة، والْعُلَمَاء، والأَطِبَاء والوجهاء، وَقَدْ اعْتَمَدْتُ فِي هذا البحث على

النُّسخة الصَّادِرَة عن دَار إِحْيَاء التُّرَاث العربي في طبعتها الْأُوْلَى لسنة ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. انْظُرْ: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّاتِ، ج١، ص ص٧-٢١، ص ص٢٥-٦٢.

(٤٦) كتاب أعيان العصر وأعوان النَّصر: عبارة عن تَرَاجِم للمشهورين الذين عاصروا الصَّفدي(٦٩٦-٧٦٤هـ/١٢٩٦-١٣٦٣م) من سياسيين، وقادة، وعلماء، وأدباء، وشعراء، ووجهاء، وقد ضمَّ ٢٠١٧ ترجمة مرتبة على الحروف الهجائية، وموزعة على خمسة أجزاء، وَقَدْ اعْتَمَدْتُ فِي هذا البحث على النُّسخة الصَّادِرَة عن دَار الفكر في طبعتها الْأُوْلَى لسنة ١٤١٨هـ/١٩٩٨م. انْظُرْ: الصَّفَدِيّ: أعيان العصر، ج١، ص ص١٦-٣٢، ص٤٣، ج٤، ص٦٨٥.

(٤٧) الزِّرِكْلِي: هو خير الدِّين بن محمود بن محمد علي بن فارس الزِّرِكْلِي، نسبة إلى حي الزِّرِكلية الدِّمَشقي، صاحب كتاب الأعلام، ولد ببيروت سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٣م، واستقر بدمشق مع قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وتنقل بين فلسطين والحجاز والأردن ومصر، والمغرب، وعدد من الدول الأخرى، وذلك بعد دخول الفرنسيين دمشق سنة ١٩٢٠م، وقد حصل على الجنسية السّعودية، وعين مندوبا للسّعودية لدى جامعة الدول العربية بين عامي (١٩٥١-١٩٥٧م)، وكانت وفاته بالقاهرة سنة ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. انظر: العلاونة، أحمد، خير الدِّين الزركلي المؤرخ الأديب الشَّاعر، دار القلم، دمشق- سوريا، ط١، ١٣٢٤هـ/٢٠٠٢م، ص ص٩-٣٦، ص ص٣٩-١٠٣.

(٤٨) من مؤلفات الصفدي التي ذكرها الزِّرِكْلِيّ بالإضافة إلى الكتب المشار إليها في المتن، كتاب: الغيث المسجم في شرح لامية العجم، وكتاب جناس الجناس، وكتاب تحفة ذوي الألباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنُّواب. انظر: الزِّرِكْلِيّ، خَير الدِّين، الأَعْلام، دَار الْعِلْمِ للملايين، بَيْرُوت- لُبْنَان، ط١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج٢، ص٣١٥، ٣١٦.

(٤٩) ابن منظور: هو أبو الفضل جمال الدِّين محمد بن مكرَّم الأنصاري، صاحب معجم: لسان العرب، ولد سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م، وتوفي سَنَة ٧١١هـ/١٣١١م. انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج٥، ص٣٧، الْكُتُبِي، مُحَمَّد بن شاكر، فوات الْوَفِيَّات، تَحْقِيقُ: إِحْسَان عَبَّاس، دَار صَادِر، بَيْرُوت-لُبْنَان، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج٤، ص٣٩، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٤، ص٢٦٢.

(٥٠) ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م، ج١، ص٤١٣.

(٥١) ابن منظور: المصدر نفسه، ج١، ص٤١٤.

(٥٢) ابن منظور: المصدر نفسه، ج١، ص٤١٤.

(٥٣) أورد الْحَمَوِيّ: " رحبة خالد: بدمشق، تنسب إلى خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي...". انظر: الْحَمَوِيّ: معجم البلدان، ج٣، ص٣٣.

(٥٤) أورد الْحَمَوِيّ: " رَحبَةُ خُنَيس: محلّة بالكوفة، تنسب إلى خنيس ابن سعد أخى النعمان بن سعد جدّ أبي يوسف يعقوب ابن براهيم بن حبيب بن خنيس القاضى...". انظر: الْحَمَوِيّ: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣.

(٥٥) أورد الْحَمَوِيّ: " رَحْبَةُ دِمَشْقَ: قرية من قراها... بينها وبين دمشق يوم... ". انظر: الْحَمَوِيّ: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٣.

(٥٦) أورد الْحَمَوِيّ: " رَحْبَةُ صنعاء: سمّيت باسم صاحبها الرَّحْبَة بن الغوث ابن سعد بن عوف بن حِمْيَر...". انظر: الْحَمَوِيّ: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٤.

(٥٧) أورد الْحَمَوِيّ: " رَحبَةُ الهَدّار: باليمامة...". انظر: الْحَمَوِيّ: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦.

(٥٨) أورد الْحَمَوِيّ: " رَحْبَةُ يَعقُوبَ: ببغداد منسوبة إلى يعقوب بن داود مولى بني سليم وزير المهدي بن المنصور...". انظر: الْحَمَوِيّ: المصدر نفسه، ج٣، ص٣٦. وقد مرّ صاحب القاموس المحيط على ذكر العديد من المواضع التي عُرِفَت باسم الرَّحْبَة. انظر: الفيروز آبادي، مُحَمَّد بن يَعْقُوب، الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، تَحْقِيق، أنس مُحَمَّد الشَّامي، وزَكَرِيَا جار أحمد، دار الحديث، الْقَاهِرَة- مِصْر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، مَادَّة: رحب، ص٦٢٥.

(٥٩) هو مالك بن طوق بن مالك بن عتَّاب بن عبد الله بن شريح بن مرة بن عبد الله بن عمرو بن كلثوم التَّغلبي، أحد أمراء العرب المشهورين، باني الرَّحْبَة على الفرات، وذلك بعد أن ولاه المأمون على الموصل سنة ٢١٤هـ/٨٢٩م، على الأرجح، كما أنه تولى إمرة دمشق للواثق وللمتوكل من بعده، وكانت وفاته في الرَّحْبَة، سنة ٢٦٠هـ/٨٧٤م، وقد أورد ابن الأثير في سنة ٢٦٠هـ:" وَفِيهَا مَاتَ مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ التَّغْلِبِيُّ بِالرَّحْبَة، وَهُوَ بَنَاهَا، وَإِلَيْهِ تُنْسَبُ"، وعند الذَّهَبِي في العبر:" وَفِيهَا مَالِكُ بْنُ طَوْقٍ التَّغْلِبِيُّ أمير عرب الشَّام، وصاحب الرَّحْبَة، وبانيها"، وكذا عند ابن العماد، ووفاته عند الكتبي سنة ٢٥٩هـ/٨٧٣م. انظر: الْبَلَاذِرِيّ، أَحْمَد بن يَحْيَى، فتوح البلدان، تَحْقِيقُ: عبد الله الطِّباع، مُؤَسَسَة المعارف، بَيْرُوت–لُبْنَان، ص٢٤٧، الأزدي، يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة–مصر، ١٣٨٧–١٩٦٧م، ج٢، ص ص٣٩٥–٣٩٨، ابن الأثير: الكامل في التَّاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدَّقَّاق وآخرون، دار الكتب العلميَّة، بيروت–دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مج٦، ص٢٤٩، الذَّهَبِي، مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ، الْعِبَرُ فِي خَبَرِ مَنْ عَبَرَ، تَحْقِيق: مُحَمَّد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت–الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م، ج٢، ص٢٦، الذَّهَبِي، مُحَمَّد بن أحمد، تَارِيخ

الْإِسْلَام ووفيات المشاهير والأعلام، تَحْقِيقُ: عمر عبد السَّلام التدمري، دار الكتاب العربي، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، (٢٥١–٢٦٠هـ)، ج١٩، ص٣٤٧، ٣٤٨، الكتبي: فوات الوفيات، ج٣، ص٢٣١، ابن الْعِمَاد: شَذَرَات الذَّهَبِ، ج٣، ص٢٦٥.

(٦٠) ذكر الصَّفَدِيّ رَحْبَة مالك بن طوق في رسائله لمعارفه، ومن ذلك قوله في ألحان السَّوَاجِع في المادة الخاصة بالْحُسَيْن بن سُلَيْمَان بن أبي الْحسن بن سليمان رَيَّان، فقال: " كتبتُ أنا من رحبَةِ مَالِك بن طَوق إلى أَخِيه القَاضِي بهَاء الدِّين الحَسَن كتاباً، وفيه عتبٌ عليهِ بسببِ انقطاعِ مُشَرَّفَاتِه عنِّي، فكتبَ هو إليَّ في سنة ٧٢٩:...". انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص٢٦٠، ٢٦١.

(٦١) الْبَلَاذِرِيّ: هو المؤرخ والأديب أَحْمَد بن يَحْيَى بن جابر البَغْدَادي، المعروف بالْبَلَاذِرِيّ الْمُتَوَفَّى في الربع الأخير مِنَ الْقَرْنِ الثَّالث الْهِجْرِي/ التَّاسع الميلادي، مؤلف كتاب أَنْسَاب الأَشْرَاف. انْظُرْ: الْبَلَاذِرِيّ، أَحْمَد بن يَحْيَى، جمل من أَنْسَاب الأَشْرَاف، تَحْقِيقُ: سُهِيل زَكَّار وصلاح زركلي، دَار الْفِكْر–بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١٤١٧هـ/١٩٩٦م، مُقَدِّمَة التَّحْقِيق، ص ص(أ–ظ)، الذَّهَبِي، مُحَمَّد بن أحمد، سِيَر أَعْلَام النُّبَلَاء، تَحْقِيقُ: شُعَيْب أَرْنَاؤُوط وبَشَّار عَوَّاد وآخرون، مُؤَسَسَة الرِّسَالَة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١٣، ص١٦٢، الْكُتُبِي: المصدر السابق، ج١، ص١٥٥.

(٦٢) قَرْقِيسِيا عند الْحَمَوِيّ: " بلد على نهر الخابور قرب رحبة مالك بن طوق على ستة فراسخ وعندها مصبّ الخابور في الفرات..". انْظُرْ: الْحَمَوِيّ: مُعْجَم الْبُلْدَان، ج٤، ص٣٢٨. والفَرْسَخ: لفظ فارسي يشير إلى مسافة تساوي ثلاثة أميال. انْظُرْ: حلاق، مُحَمَّد، الإيضاحات الْعَصْرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنُّقود الشَّرْعِيَّة، دار الجيل الجديد، صنعاء–الْيَمَن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٤٧. وعليه فبعد قَرْقِيسِيا عن الرحبة حسب الْحَمَوِيّ يساوي ١٨ ميلًا. وهي اليوم بلدة سورية تتبع مدينة دير الزور، وتسمى البصيرة. انظر: عياش، عبد القادر: حضارة وادي الفرات–مدن فراتية– القسم السُّوري، الأهالي للطباعة والنَّشر، دمشق–سوريا، ط١، ١٩٨٩م، ص٢١١.

(٦٣) الْبَلَاذِرِيّ: فتوح البلدان، ص٢٤٧.

(٦٤) من اللغويين الذين ذكروا رحْبَة مالك، صاحب قاموس المحيط، وذلك بعد أن عّدَّد عددًا من المواضع المتعلقة بمادة الرَّحْبَة بالضَّم، فقال:"وبالفتح: رحبة مالك بن طوق على الفرات". انظر: الفيروز آبادي: الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، مَادَّة: رحب، ص٦٢٥.

(٦٥) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٤١٥.

(٦٦) من هؤلاء: ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، حيث قال عنها:"وأمّا قَرْقِيسِيا فمدينة على الخابور.. وبينها وبين مدينة الخانوقة يومان.. ورحبة مالك بن طوق أكبر منها، وهي كثيرة الشَّجر والمياه فى شرقىّ

الفرات، وقد عراها الاختلال وهي ذات سور صالح ولها نخيل وثمر وسقي كثير من جميع الغلّات". وقد جعلها شرق الفرات، وهي في الحقيقة تقع غربه. انْظُرْ: ابن حَوْقَل، مُحَمَّد بن حَوْقَل، صُوْرَة الْأَرضِ، منشورات دار مَكْتَبَة الحياة، بَيْرُوت–لُبْنَان ١٩٩٢م، ص٢٠٥، عياش: حضارة وادي الفرات، ص٨٢. وحول موقع الرَّحبة بالنِّسبة للفرات. انظر: ملحق رقم:(٢)، (٣).

(٦٧) اليوم: كالمرحلة، كلاهما واحد، حَيْثُ إنَّ المرحلة: هي المسافة الَّتي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسَّير المعتاد على الدَّابَّة، وتقدَّرُ بـ: ٢٤ميلاً. انْظُرْ: جمعة، علي، المكاييل والموازين الشَّرْعِيَّة، الْقُدس للإعلان وَالنَّشْر والتَّسويق، الْقَاهِرَة – مصر، ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص٥٦. وعليه فالمسافة حسب الْحَمَوِيّ، بين الرَّحْبَة ودمشق تقدر بـ: ١٩٢ميلاً.

(٦٨) أي حوالي: ١٢٠ ميلًا، ذلك أنَّ اليوم يقدر بـ: ٢٤ ميلًا.

(٦٩) أي حوالي: ٣٠٠ ميلًا، ذلك أنَّ الفرسخ يقدر بـ: بثلاثة أميال.

(٧٠) أي ما يزيد: ٦٠ ميلًا.

(٧١) ذكر الْحَمَوِيّ بعد ذلك ما أورده الْبَلَاذِرِيّ في كتاب فتوح البلددان، فقال:" قال الْبَلَاذِرِيّ: لم يكن لها أثر قديم إنَّما أحدثها مالك بن طوق بن عتاب التَّغلبي في خلافة المأمون". انظر: الْحَمَوِيّ: معجم البلدان، ج٣، ص٣٤، ٣٥، الْبَلَاذِرِيّ: فتوح البلدان، ص٢٤٧.

(٧٢) أبو الفداء: هو الملك الْمُؤَيّد عِمّاد الدِّين إِسْمَاعِيل بن علي الْأَيُوبِي، صاحب حماة للسلطان محمد بن قلاوون(٦٩٣-٧٤١هـ/ ١٢٩٤-١٣٤١م)، مؤلف كتاب المختصر، وكتاب تقويم البلدان، ولد سنة ٦٧٢هـ/١٢٧٣م، وتوفي سَنَة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. انْظُرْ: أَبُو الْفِدَاء، إِسْمَاعِيل بن علي، الْمُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البشر، تَحْقِيقُ: محمود ديوب، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت- لُبْنَان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص ص٣-١٧، الصَّفَدِيّ: الْوَافِي بالْوَفِيَّات، ج٩، ص ص١٠٤-١٠٧، أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص ص٥٠٣-٥١٢، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج١، ص ص٣٧١-٣٧٣.

(٧٣) عانة: أورد الْحَمَوِيّ:" وعانة: بلد مشهور بين الرَّقّة وهِيت يعد في أعمال الجزيرة...". الْحَمَوِيّ: المصدر السابق، ج٤، ص٧٢.

(٧٤) كذا في متن التَّحقيق:" شيركوه بن أحمد"، والصَّواب، أنَّه شيركوه بن محمد، وهو السُّلْطَان أسد الدِّين شيركوه الصَّغير، أبو الحارث بن ناصر الدِّين محمد بن أسد الدِّين شيركوه بن شاذي، صاحبُ حمص، ولَّاه إيّاها الملك النَّاصر صلاح الدِّين بعد موت أبيه سنة ٥٨١هـ/١١٨٥م، وله من العمر ١٢ عام، ولد بمصر سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٤م، وتوفي سنة ٦٣٧هـ/١٢٣٩م، بعد أن حكم حوالي ٥٦ عاما. انظر: أبو الفداء: المصدر السابق، ج٢، ص١٥٣، ٢٦٨، ٢٦٩.

(٧٥) أي قرابة ثلاثة أميال، كما وُضِحَ سابقًا.

(٧٦) أَبُو الْفِدَاء، إِسْمَاعِيل بن علي، تَقْوِيم الْبُلْدَانِ، دَار صَادِر، بَيْرُوت–لُبْنَان، ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م، ص١٨٠، ١٨١. وقد قصد أبو الفداء بقوله:" وهي أحد الثُّغور الإسلامية في زماننا". لكونها تقع في آخر حدود الشَّام، وبداية حدود العراق، في مواجهة التتار، المتواجدين في العراق وبلاد فارس. وقد تعرضت لغزوهم أكثر من مرة، ومن ذلك الحصار الذي عاصره أبو الفداء، والذي بدأ آخر شعبان وانتهى بالفشل في ٢٦ رمضان من سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م. انظر: أبو الفداء: المختصر، ج٢ ص٤١٣، عياش: حضارة وادي الفرات، ص٨٦.

(٧٧) الْعُمَرِيّ، أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى، التَّعريف بالمصطلح الشَّريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدِّين، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ص٢٢٤–٢٣١.

(٧٨) هو نائب الرَّحْبَة الأمير حسام الدِّين لاجين الغتمي، وقد تولَّاها للسُّلْطَان النَّاصر محمد بن قلاوون (٦٩٣–٧٤١هـ/ ١٢٩٤–١٣٤١م) سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م، وذلك بعد أنْ أظهر براعة في الخدمة السُّلْطَانية، بولايته على البقاع ونابلس، وقد وكانت نشأته بالرَّحْبَة، وفيها كانت وفاته، وذلك في شوال سنة ٧٣٤هـ/١٣٣٤م. انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص ص١٨٠–١٨٢، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٣، ص٢٧١، ٢٧٢.

(٧٩) عبد القادر عياش: هو الحقوقي والقاضي والكاتب والمؤرخ عبد القادر بن عياش عياش، ولد في مدينة دير الزور سنة ١٣٢٩هـ/١٩١١م، وأسس مجلة صوت الفرات سنة ١٩٤٥م، كما أنه ترأس مركز الدراسات التَّاريخية والجغرافية بدير الزَّور، وسخر وقته وماله للتعريف بتاريخ الفرات لأكثر من من ٣٠ عاما، وكانت وفاته بدير الزور سنة ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م. انظر: عياش، عبد القادر، معجم المؤلفين السُّوريين في القرن العشرين، دار الفكر، دمشق– سوريا، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٣٧٥–٣٧٩، الزِّرِكْلِي: الأعلام، ج٤، ص٤٢.

(٨٠) في الأصل:" للهجرة"، سهوًا. انظر: عياش: حضارة وادي الفرات، ص٧٩.

(٨١) عياش: المرجع نفسه، ص٧٩.

(٨٢) أورد عياش عن قلعة الرَّحْبَة، فقال:" وكانت هذه القلعة مسكونة منذ نيّف ومائة سنة سكنها أجداد بعض سكان بلدة الميادين الحالية، ولا يزال يسمون بالقلعيين نسبة إلى هذه القلعة". وقد قال فيها ابن بطوطة:" وقلعة حلب تسمى الشهباء.. وهذه القلعة تشبه قلعة رحبة مالك بن طوق التي على الفرات بين الشَّام والعراق". انظر: ابن بَطُوطَة، مُحَمَّد بن عبدِ الله، تحفة النُّظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار–رحلة ابن بطوطة، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، دَار إِحْيَاء العلوم، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص٨٥، ٨٦، عياش: المرجع السابق، ص٨٤. وللمزيد عن قلعة الرَّحْبَة. انظر: ملحق:(٣)، (٤).

(٨٣) أبو بكر الحلبي: هو القاضي شرف الدِّين أبو بكر بن محمد بن محمود بن سلمان الحلبي، تولى كتابة السِّر بدمشق سنة ٧٢٩هـ/١٣٢٩م، وفي سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م، تولى كتابة السِّر في مصر، وبعد قرابة ثمانية أشهر أعيد إلى دمشق بطلب منه، واستمر كاتباً للسِّر فيها قرابة سنة ونصف، ثم عزله والي الشَّام سيف الدِّين تنكز، فجلس في بيته بدون عمل، وبعد وفاة تنكز، أعيد إلى كتابة السِّر بالشَّام، وكانت تربطه علاقة وثيقة بالصَّفَدِيّ، وبينهما العديد من المكتبات التي تشهد على ذلك، ولد سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٤م، وتوفي في القدس سنة ٧٤٤هـ/١٣٤٣م. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص ص١٩٧-٢١٦، أَعْيَان الْعَصْر، ج٢، ص ص١٢-٢٥، الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج١٠، ص ص١٦٢-١٦٥.

(٨٤) التَّوقيع: مصطلح مملوكي مرادف لمصطلح كتابة الإنشاء، وأصله مأخوذ من التَّوقيع على حواشي القُصَص وظهورها. انظر: الْقَلْقَشَنْدِيّ، أحمد بن علي، صُبْح الأَعْشَى، دار الكتب الْمِصْرِيَّة، الْقَاهِرَة- مصر، ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م، ج١، ص٥٢، ٥٣. والقُصَصُ: هي الشَّكَاوَى والحاجات الَّتي ترفع لِلسَّلْطَانِ. انْظُرْ: حَلَّاق وَصَبَّاغ: الْمُعْجَمُ الْجَامِعُ، ص١٧٤، ١٧٥.

(٨٥) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص١٩٧. وفي أَعْيَان الْعَصْر: " وَكَتَبَ هُوَ إِلَيّ، وَأَنَا بِالقَاهِرَةِ يَطْلُبُ مِنِّي الحُضُورَ إِلى دمشق لِيُجَهِّزَنِي إِلى الرَّحْبَة مُوَقِعاً". انظر: أَعْيَان الْعَصْر، ج٢، ص١٦.

(٨٦) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص١٩٧، ١٩٨. وعدد الأبيات المنسوبة لأبي بكر الحلبي ثلاث في أَعْيَان الْعَصْر: الأول والثالث والخامس، وما تبقى فهي منسوبة إلى الصَّفَدِيّ، وذلك في سياق الجواب المرسل من قِبَلِه رَدًا على هَذِهِ الأَبْيَات. انظر: أَعْيَان الْعَصْر، ج٢، ص١٦، ١٧.

(٨٧) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص١٩٧، ١٩٨، ومجموع أبيات الجواب في ألحان السَّوَاجِع ٢١ بيتا، بينما مجموعها في أعيان العصر ٢٤ بيتاً، وقد اتفق المصدران في المجموع الكلي لأبيات الحلبي والصَّفَدِيّ والبالغة ٢٧، أمَّا ذكر تاريخ الرِّسالة وهو سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م، فقد ورد في الأعيان فقط. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص١٩٧، ١٩٨، أَعْيَان الْعَصْر، ج٢، ص١٦، ١٧.

(٨٨) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص١٩٧، ١٩٨، أَعْيَان الْعَصْر، ج٢، ص١٦، ١٧.

(٨٩) ابن البَارِنْبَاري: هو القاضي تاج الدِّين أبو سعد محمد بن محمد بن عبد المنعم السَّعدي، المعروف بابن البارنباري، كاتب الإنشاء في مصر، وصَاحب ديوَان الْإِنْشَاء بطرابلس، وموقع الدَّست بالشَّام، ولد في ربيع الأول سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م، وتوفي في ربيع الأول سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٣م، وقد قال فيه الصَّفَدِيّ:" هو أحد الكتاب الكُمَّلة الذين رأيتهم". انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج١، ص ص١٩٥-٢٠١، ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص ص٢٦٨-٢٧٦، أَعْيَان الْعَصْر، ج٥، ص ص١٧٠-١٨٠، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج٤، ص١٩٥، ١٩٦.

(٩٠) تابع الْعُمَرِيّ بعد ذلك بذكر عدد من الرسائل المتبادلة مع صاحب التَّرْجَمَة على شكل مقطوعات شعرية ونثرية، وقد بدأها ببيتين من الشعر جاء فيهما:

لما أتيت دِمشقاً بعد مصر وفي عطفيَّ منك بقايا الفضل للرَّاجي
عُظِّمتُ من أجل مولانا وصحبته وقيل هذا بمصر صاحبُ التَّاجِ

انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٥، ص ص١٧٣-١٧٥.

(٩١) أورد الْقَلْقَشَنْدِيّ بهذا الخصوص: " كاتب الدُّرج: وهو الذي يكتب المكتبات والولايات وغيرها في الغالب، ورُبَّما شاركه في ذلك كتاب الدَّست، ويعبر عنه الآن بالموقِّع". انظر: الْقَلْقَشَنْدِيّ، صُبْح الأَعْشَى، ج٥، ص٤٦٥.

(٩٢) هو الكاتب كمال الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يعقوب الدمشقي الجعفري، ولد بعد سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م، وعمل في كتابة الدرج في الرحبة، ودمشق، وغزة، وانتهى به المقام في مصر، حيث توفي فيها سنة ٧٦٢هـ/١٣٦١م. انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر: ج٤، ص ص٢٧٦-٢٧٩، ابن رافع: الوفيات، ج٢، ص٢٣٧، ٢٣٨، ابن حجر: الدُّرَر الْكَامِنَة، ج٣، ص٣٧١، ٣٧٢.

(٩٣) وكالة بيت مال: وظيفة دينية تأتي في المرتبة الرابعة، بعد وظائف: قضاء القضاء، وقضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، وقد قال عنها القلقشندي:" وهي وظيفة عظيمة الشان رفيعة المقدار، وموضوعها التحدّث فيما يتعلّق بمبيعات بيت المال ومشترياته من أرض وآدُر وغير ذلك، والمعاقدة على ذلك، وما يجري هذا المجرى"، وأنّ متولّيها لا يكون إلا من أهل العلم والدّيانة، وأنّ له مجلسا بدار العدل. انظر: الْقَلْقَشَنْدِيّ، المصدر السابق، ج٤، ص٣٦، ٣٧.

(٩٤) آل مهنا: هم أسياد العرب في بلاد الشَّام في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي، وهم من نسل آل فضل، وتعود جذورهم إلى قبيلة طيء العربية، وينسبون إلى مهنا بن عيسى، وقد كان لهم دور كبير في صد غارات التتار القادمة من العراق وبلاد فارس على بلاد الشَّام؛ إذ إن موطنهم كان بجوار الفرات، ومن ثم توسعوا بموطنهم، وأقام قسم منهم في غوطة دمشق. انظر: العمري: التَّعريف بالمصطلح الشَّريف، ص١١١، ١١٢.

(٩٥) تَنْكِز(٧١٢-٧٤١هـ/١٣١٢-١٣٤٠م): هو الْأَمِير سيف الدِّين أبو سعيد نائب السَّلطنة في الشَّام لِلسَّلْطَانِ النَّاصِر مُحَمَّد بن قَلَاوُون (٦٩٣-٧٤١هـ/ ١٢٩٤-١٣٤١م)، وكان قد تولاها له في ربيع الآخر سنة ٧١٢هـ/أكتوبر ١٣١٢م، وعزل عنها في ذِي الْحِجَّة سنة ٧٤٠هـ/مايو١٣٤٠م، وَكَانَتْ وفاته في الإِسْكَنْدَرِيَّة تحت الاعتقال في أوائل سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م. انْظُرْ: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَات، ج١٠، ص ص٢٦٠-٢٦٨، ابنُ حَجَرٍ: المصدر السابق، ج١، ص ص٥٢٠-٥٢٨.

(٩٦) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص١٨٠، ١٨١.

(٩٧) بدر الدِّين العزَّازي: هو القاضي محمد بن عثمان بن فخر الدِّين العزَّازي الدِّمشقي، أحد كتاب الدُّرج بدمشق، ولد سنة ٦٧٦هـ/١٢٧٧م، وتوفي في ١٣ ذي الحجة سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م، عرف بصلاحه ووقاره، وقد أورد الصَّفَدِي في الوافي بالوفيات: " وَتُوفِّي فِي أَوَاخِر سنة ثَلَاثِينَ وَسبع مائَة أَو أَوَائِل إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَطلبت أَنا من رَحْبَةِ مَالك بن طوق، وَجئْت إِلَى دمشق عوضه على معلومه، رَحمَه الله". والملاحظ هنا؛ أنَّ الصفدي لم يكن متأكدًا من تاريخ وفاته بشكل دقيق، إلا إنه ألغى الشَّك باليقين في كتابه أعيان العصر فوثق ذلك في يوم الخميس ١٣ ذي الحجة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م، وولادته عند ابن حجر سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م. انظر: الصَّفَدِيّ: الوافي بالوفيَّات، ص٤، ص٦٦، أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص٥٥٩، ٥٦٠، ابن حجر: الدُّرَر الْكَامِنَة، ج٤، ٤٥.

(٩٨) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص٥٥٩.

(٩٩) تجدر الإشارة هنا، إلى أنَّ ابن حَجَرٍ قد أورد في الدُّرَر، فقال: " وباشر كتابة السِّر بحلب وقتًا، وبالرَّحْبَة وقتًا". دون تحديد تاريخ دقيق لبداية هذا الوقت، ولا إلى نهايته. انظر: ابن حَجَرٍ: المصدر السابق، ج٢، ص٨٧.

(١٠٠) أورد الصفدي في الترجمة التي خصّها للقاضي عماد الدين محمد بن أحمد الشيرازي، ناظر الجامع الأموي، ومحتسب دمشق، فقال:" وتوفي، رحمه الله تعالى، في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق، وكان قد تولى نظر الجامع الأموي بعد تقي الدين بن مراجل في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة يوم الخميس ثامن شهر ربيع الأول. وفي هذا اليوم دخلت أنا في ديوان الإنشاء بدمشق". انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص٢٥٦، ٢٥٧.

(١٠١) الصفدي: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص٣٥٧.

(١٠٢) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٣، ص٥٩٩.

(١٠٣) الأمير ناصر الدِّين محمد بن الجنكلي: هو ابن الأمير بدر الدِّين ابن البابا، أحد أمراء المماليك في عهد السُّلطان محمد بن قلاوون(٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٤-١٣٤١م)، ولد سنة ٦٩٧هـ/ ١٣٩٥م، وتوفي سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م. انظر: الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢، ص ص٢٣٠-٢٣٢، أعيان العصر، ج٤، ص ص٣٧٩-٣٩٥، ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص ص٧٣-٨٣.

(١٠٤) تابع الصفدي بعد هذين البيتين، فقال:" وكتبتُ إليه أيضًا: [السريع]

يـــا غائبـــاً عَنـــي بُحكـــمِ النَّـــوى ... وذِكْـــــرُهُ مَـــــا زَالَ فِي خَـــــاطِرِي

قَـــدْ جَـــارَ فِي الْحُكْـــمِ زَمَـــانِي ولا ... بِـــــدْعَ إذا اشـــــتقتُ إلى نَـــــاصِرِي"

انظر: الصفدي: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٨٣.

(١٠٥) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص١٩٢.

(١٠٦) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج٢، ص١٩٣.

(١٠٧) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص١٨١.

(١٠٨) تابع الصَّفَدِيّ عبارته السابقة، فقال:" ثم إنه أقبل عليّ إقبالًا عظيما... وقال: يا مولانا، خوفوني منك، وقالوا: هذا واحد قد سيروه من مصر عينًا عليك، وزال ذلك". انظر: الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج٤، ص١٨١.

(١٠٩) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٢١٤.

(١١٠) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٥.

(١١١) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج٢، ص٢١٥، ٢١٦.

(١١٢) وبُلَ واستَوبَلَ الأرضَ: إذا لم توافقه، وإن كان محباً لها. انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة: وبل، ص١٧٢٦.

(١١٣) الوَبال: الشِّدة، والثِّقل. انظر: الفيروز آبادي: المصدر نفسه، مادة: وبل، ص١٧٢٧.

(١١٤) قصد الصَّفدي كتاب الحيوان لمُؤَلِفه أبي عُثْمَان عمرو بن بحر بن محبوب، المعروف بالجَاحِظ، المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م. انْظُرْ: الْعُمَرِيّ: مَسَالِك الأَبْصَارِ، ج٧، ص ص٣١٦-٣٢٢.

(١١٥) قال تعالى:﴿ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النَّحل:٨].

(١١٦) كذا في متن التَّحقيق، وأحسب أنَّ الصواب: أهوال، لاتسجامها مع السِّياق.

(١١٧) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٢١٧. والبيت من قصيدة للمتنبي مؤلفة ٣٧ بيتاً، قالها في مدح عبد الرحمن بن المبارك الإنطاكي، وترتيبه الثامن، وقد جاء فيه: [الخفيف]

فَهْـوَ أَمْضَـى في الـرَّوْعِ مِـنْ مَلـكِ المَـوْ ... تِ وأَسْرَى في ظلمـةٍ مِـنْ خَيـالِ

انظر: الواحدي، علي بن أحمد، شرح الواحدي لديوان المتنبي، تحقيق: ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص٥٨٠، ص ص٥٧٨-٥٨٨.

(١١٨) الصَّفَدِيّ: المصدر السابق، ج٢، ص٢١٤، ص٢١٥-٢١٨.

(١١٩)الصَّفَدِيّ، خليل بن أيبك، الروض الباسم والعرف الناسم، تحقيق: محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة-مصر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ص٢٠٨.

(١٢٠) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٢٢٤.

(١٢١) ومجموع الأبيات أربعة: انظر: الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج٢، ص٢٢٤.

(١٢٢) ذَهَبٌ إبْرِيزٌ وإبْرِيزِيٌّ: خالصٌ. انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة: برز، ص١١٥.

(١٢٣) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج٢، ص٢١٤. والإبْلِيز: طينُ مِصْرَ، أعجمية. انظر: الفيروز آبادي: المصدر السابق، مادة: بلز، ص١٥٥.

(١٢٤) قال تعالى:﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۞ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ [البروج:٤، ٥].

(١٢٥)أجاب النبي ﷺ، سيدنا جبريل عليه السلام، عندما سأله عن السَّاعة، في الحديث الشريف الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، فقال:" ما المَسْئُولُ عَنْهَا بأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ". انظر: الْبُخَارِي، مُحَمَّد بن إسماعيل، الْجَامِعالصَّحِيح، تَحْقِيق: محب الدِّين الخطيب وآخرون، المطبعة السَّلفية، القّاهِرَة– مِصْر، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، (٥٠)، ج١، ص٣٣.

(١٢٦) البيت في المقامة الحَرَامية من مقامات الحريري. انظر: الحريري، القاسم بن علي، مقامات الحريري، دار بيروت، بيروت–لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص٣٩٦.

(١٢٧) الصَّفَدِيّ: المصدر السابق، ج٢، ص٢١٨، ٢١٩.

(١٢٨) الخِدنُ: الصاحب، ومن يخادنك في كل أمر ظاهر وباطن. انظر: الفيروز آبادي: القاموس المحيط، مادة: خدن، ص٤٤٦.

(١٢٩) الصَّفَدِيّ: المصدر السابق، ج٢، ص٢١٥. وفي القاموس، رَفَأَ الرجل: سكَّنَه، ورفَّأه ترفئةً وترفيئًا: قال له: بالرَّفاء والبنين، أي بالالتئام وجمع الشَّمل. انظر: الفيروز آبادي: المصدر السابق، مادة: رفأ، ص٦٥٤.

(١٣٠) الصَّفَدِيّ: المصدر السابق، ج٢، ص٢١٨. والبيت لأبي العلاء الْمَعَرِي في سقط الزِّند من قصيدة مؤلفة من: ٥١ بيتاً، في مدح مدينة السَّلام بغداد، وترتيب البيت: ٣٩. انظر: المَعَري: أحمد بن عبد الله، ديوان سقط الزِّند، دار صادر، بَيْرُوت–لُبنان، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ص٢٣٢، ص ص٢٢٨–٢٣٣.

(١٣١) شرف الدِّين الطَّائى: هو الْحُسَيْن بن سُلَيْمَان بن أبي الْحسن بن سليمان بن رَيَّان الطَّائِى، ولدَ في حلب سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٣م، تولى العديد من المناصب، ومن ذلك: كتابة الدُّرج في حلب وفي طرابلس، وقد قال الصَّفَدِيّ عن علاقته به في الوافي:" ولى بِهِ أنسٌ كثيرٌ، حضر إِلَى صفد بعد أَن خَرجُوا مِنْهَا أَولاً مَعَ وَالِده، وَهُوَ نَاظر الْجَيْش ووالده نَاظر المَال فِي آخر أَيَّام الْأَمِير سيف الدِّين أرقطاي...". انظر: الصَّفَدِيّ، الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج١٢، ص ص٢٢٨–٢٣٤، ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص٢٦٠، ٢٦١.

(١٣٢) بهَاء الدِّين الطَّائي: هو القَاضِي أَبُو مُحَمَّد الحسن بن سُلَيْمَان بن رَيَّان الطَّائي، نَاظر الْجَيْش بحلب، ولد فِي شهر جُمَادَى الْآخِرَة سنة ٧٠١هـ/١٣٠٢م، وتوفي في دمشق سنة ٧٦٨م/١٣٦٧م.

انظر: الصَّفَدِيّ: الْوَافي بالْوَفِيَّات، ج١٢، ص ص٢٤–٢٦، ابن حجر: الدُّرَر الْكَامِنَة، ج٢، ص١٦.

(١٣٣) القصيدة مؤلفة من أحد عشر بيتًا. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص٢٦١.

(١٣٤) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج١، ص٢٦١.

(١٣٥) القصيدة مؤلفة من ثلاثة عشر بيتًا. انظر: الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٢.

(١٣٦) ختم الصَّفَدِيّ هذه المكاتبات مع ابن الريان بهذين البيتين. انظر: الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج١، ص٢٦١، ٢٦٢.

(١٣٧) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج١، ص١٩٧، ١٩٨.

(١٣٨) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج١، ص١٩٨، ١٩٩.

(١٣٩) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص٥٥٩، ٥٦٠.

(١٤٠) قُبَاقِب: بالضم، وتكرير القاف والباء، قباقب: ماء لبني تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة، وقد كانت مركزًا من مراكز حماح البريد. انظر: الْحَمَوِيّ: معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٣. الْعُمَرِيّ: التَّعريف بالمصطلح الشريف، ص٢٥٥.

(١٤١) كان حمام البريد يُسَرَّح من دمشق إلى الرَّحْبَة، وذلك عبر المراكز التَّالية: من دمشق إلى بَعْلَبَك، إلى قارا، إلى القريتين إلى تدمر، إلى السُّخنة، إلى قباقب، ومنها إلى الرَّحْبَة. انظر: الْعُمَرِيّ: المصدر السابق، ص٢٥٥.

(١٤٢) الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج٤، ص١٨١.

(١٤٣) الصَّفَدِيّ: المصدر نفسه، ج٤، ص١٨١، ١٨٢.

(١٤٤) لمراسلات الصَّفدي مع أصدقائه ومحبيه ومعارفه. انظر: البحث، ص١٣، ١٤.

(١٤٥) هو القاضي أمين الدِّين إبراهيم بن أحمد بن محمد بن سليمان بن غانم، أحد كتاب الإنشاء بالشَّام، ولد على قول ابن حَجَرٍ بدمشق سنة ٦٩٩هـ/١٣٠٠م، وتوفي في دمشق في جمادى الآخرة سنة ٧٦١هـ/ ١٣٦٠م. انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص ص٤٢-٤٧، أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص ص٥٦-٦٠، ابن حَجَرٍ: الدُّرَرُ الْكَامِنَة، ج١، ص١٣، ١٤.

(١٤٦) تشير عبارة الصَّفَدِيّ إلى أن النَّص الذي أورده في كتابه ألحان السَّوَاجِع إنَّما هو جواب على رسالة وصلت إليه من القاضي أمين الدِّين، لكن للأسف فقد تعذر عليّ الوقوف عليها، والعبارة في أَعْيَان الْعَصْر: " وكنت قد كتبتُ أنا إليه جواباً من رحبة مالك بن طوق في سنة ثلاثين وسبع مئة". انظر: الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص٤٢، ٤٣، أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص٦٠.

(١٤٧) الصَّفَدِيّ: ألحان السَّوَاجِع، ج١، ص٤٢، ٤٣. والقصيدة مؤلفة من اثني عشر بيتًا، وهي في أَعْيَان الْعَصْر. انظر: الصَّفَدِيّ: أَعْيَان الْعَصْر، ج١، ص٦٠.

المصادر والمراجع

المصادر:

- الأزدي، يزيد بن محمد، تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة–مصر، ١٣٨٧–١٩٦٧م.
- ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ، تحقيق: محمد يوسف الدَّقَّاق وآخرون، دار الكتب العلميَّة، بيروت–دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الْبُخَارِي، مُحَمَّد بن إسماعيل، الْجَامِع الصَّحِيح، تَحْقِيق: محب الدّين الخطيب وآخرون، المطبعة السَّلفية، القّاهِرَة–مِصْر، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
- الْبَلَاذِرِيّ، أَحْمَد بن يَحْيَى، جمل من أَنْسَاب الأَشْرَاف، تَحْقِيقُ: سُهِيل زَكَّار وصلاح زركلي، دَار الْفِكْرِ–بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- الْبَلَاذِرِيّ، أَحْمَد بن يَحْيَى، فتوح البلدان، تَحْقِيقُ: عبد الله الطِّباع، مُؤَسَسَة المعارف، بَيْرُوت.
- ابن بَطُوطَة، مُحَمَّد بن عبدِ الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار–رحلة ابن بطوطة، تَحْقِيقُ: مُحَمَّد عبد المنعم العريان، دَار إِحْيَاء العلوم، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- الحريري، القاسم بن علي، مقامات الحريري، دار بيروت، بيروت–لبنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بَيْرُوت– لُبْنَان، ط٢، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ابن حبيب، الحسن بن عمر، تذكرة النبيه في أيام الْمَنْصُور وبنيه، تَحْقِيق: مُحَمَّد مُحَمَّد أمين، مطبعة دار الْكُتُب الْمِصْرِيَّة، الْقَاهِرَة – مصر، ط١، ١٩٧٦م.
- ابن حَجَر، أحمد بن علي، الدُّرَر الْكَامِنَة في أَعْيَان المائة الثامِنة، تَحْقِيق: سالم الكَرَنْكُوي، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العربي، بَيْرُوت– لُبْنَان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ابن حَوْقَل، مُحَمَّد بن حَوْقَل، صُوْرَة الْأَرضِ، منشورات دار مَكْتَبَة الحياة، بَيْرُوت–لُبْنَان ١٩٩٢م.
- الذَّهَبِي، مُحَمَّد بن أحمد، تَارِيخ الْإِسْلَام ووفيات المشاهير والأعلام، تَحْقِيقُ: عمر عبد السَّلام التدمري، دار الكتاب العربي، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.
- الذَّهَبِي، مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ، الْعِبَرُ فِي خَبَرِ مَنْ عَبَرَ، تَحْقِيق: مُحَمَّد رشاد عبد المطلب، مطبعة حكومة الكويت، الكويت–الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م.
- الذَّهَبِيُّ، مُحَمَّدُ بنُ أَحْمَدَ، الْمُعْجَمُ الْمُخْتَصُّ بِالْمُحَدِّثِينَ، تَحْقِيقُ: مُحَمَّدُ حَبِيب الهيلة، مَكْتَبَةُ الصِّدِّيق، الطَّائِف، السُّعُوْدِيَّة، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- ابن رافع، مُحَمَّد بن رافع، الْوَفِيَات، تَحْقِيق: صالح مهدي عباس وبَشَّار عَوَّاد معروف، مُؤَسَسَةُ الرِّسَالَةِ، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- السَّبْكِيُّ، عبد الوهاب بن علي، طبقات الشَّافِعِيَّة الكبرى، تَحْقِيق: عبد الفتاح الحلو ومَحْمُود الطَّنَاحي، دار هجر، الْقَاهِرَة – مصر، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م.
- الصَّفَدِيّ، خليل بن أيبك، أَعْيَان الْعَصْر وأعوان النصر، تَحْقِيق: علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دِمَشْق–سوريا، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.
- الصَّفَدِيّ، خليل بن أَيْبك، ألحان السَّواجع بين البادئ والمراجع، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، دمشق–سوريا، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٤٤م.
- الصَّفَدِيّ، خليل بن أيبك، الروض الباسم والعرف الناسم، تحقيق: محمد عبد المجيد لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة–مصر، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م
- الصَّفَدِيّ، خليل بن آيبك، الوافي بالوفيات، تَحْقِيق: أَحْمَد الأرناؤوط وزكي مُصْطَفَى، دَار إِحْيَاء التُّرَاث، بَيْرُوت– لُبْنَان، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- الْعُمَرِيّ، أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى، التَّعريف بالمصطلح الشَّريف، تحقيق: محمد حسين شمس الدِّين، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الْعُمَرِيّ، أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى، مَسَالِكُ الأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ، تَحْقِيق: مهدي النجم، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ٢٠١٠م، ج٢، ج١٢، ج١٣، ج ج٢٤–٢٧.
- الْعُمَرِيّ، أَحْمَدُ بنُ يَحْيَى، مَسَالِكُ الأَبْصَارِ فِي مَمَالِكِ الْأَمْصَارِ، تَحْقِيق: كامل سلمان الْجُبُورِي، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ٢٠١٠م، ج١، ج ج٣–١١، ج ج١٤–٢٣.
- الفيروز آبادي، مُحَمَّد بن يَعْقُوب، الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ، تَحْقِيق، أنس مُحَمَّد الشَّامي، وزَكَرِيَا جار أحمد، دار الحديث، الْقَاهِرَة– مِصْر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.
- أَبُو الْفِدَاء، إِسْمَاعِيل بن علي، تَقْوِيم الْبُلْدَانِ، دَار صَادِر، بَيْرُوت–لُبْنَان، ١٢٦٦هـ/١٨٥٠م.
- أَبُو الْفِدَاء، إِسْمَاعِيل بن علي، الْمُخْتَصَر فِي أَخْبَارِ البشر، تَحْقِيقُ: محمود ديوب، دَار الْكُتُبِ الْعِلْمِيَّة، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- الْقَلْقَشَنْدِيّ، أحمد بن علي، صُبْح الأَعْشَى، دار الكتب الْمِصْرِيَّة، الْقَاهِرَة–مصر، ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م.
- الْكُتُبِي، مُحَمَّد بن شاكر، فوات الْوَفِيَّات، تَحْقِيقُ: إِحْسَان عَبَّاس، دَار صَادِر، بَيْرُوت–لُبْنَان، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
- ابن كَثِير، الْبِدَايَة والنِّهَاية، مكتبة دار المعارف، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط٧، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- الْمَعَرِي، أحمد بن عبد الله، ديوان سقط الزّند، دار صادر، بيروت–لبنان، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م.

- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت–لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- الواحدي، علي بن أحمد، شرح الواحدي لديوان المتنبي، تحقيق: ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

المراجع:

- جمعة، علي، المكاييل والموازين الشَّرْعِيَّة، الْقُدس للإعلان وَالنَّشْر والتَّسويق، الْقَاهِرَة–مصر،ط٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- حلاق، مُحَمَّد، الإيضاحات الْعَصْرية للمقاييس والمكاييل والأوزان والنُّقود الشَّرْعِيَّة، دار الجيل الجديد، صنعاء–الْيَمَن، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.
- حلاق، حَسَّان وصَبَّاغ، عباس، المُعْجَم الجَامِع في الْمُصْطَلَحَات الأَيُّوبِيَة والْمَمْلُوكِيَة والعثمانية ذات الأصول العربية والفَارِسِية والتُّرْكِيَّة، دار العلم للملايين، بَيْرُوت–لُبْنَان، ط١، ١٤٢١هـ/١٩٩٩م
- الدَّباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الهدى، كفر قرع–فلسطين، ١٩٩١م.
- الزِّرِكْلِيّ، خَير الدّين، الأَعْلام، دَار الْعِلْم للملايين، بَيْرُوت– لُبْنَان، ط١٥، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.
- عاشور، سعيد عبد الفتاح، العصر المماليكي في مصر والشام، دار النهضة، القاهرة–مصر، ط٢، ١٩٧٦م.
- العلاونة، أحمد، خير الدين الزركلي المؤرخ الأديب الشاعر، دار القلم، دمشق–سوريا، ط١، ١٣٢٤هـ/٢٠٠٢م.
- عياش، عبد القادر: حضارة وادي الفرات– مدن فراتية– القسم السُّوري، الأهالي للطِّباعة والنَّشر، دمشق–سوريا، ط١، ١٩٨٩م.
- عياش، عبد القادر، معجم المؤلفين السُّوريين في القرن العشرين، دار الفكر، دمشق–سوريا، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

المواقع الإلكترونية:

- قلعة الرَّحْبَة/https://syriafriends.net/2019/06/ /